الباب الرابع

شعراء الشيعة

بلغ شعراء الشيعة من الكثرة مبلغا عظيما حتى أصبح إحصاؤهم فضلا عن التكلم عنهم من الأمور العسيرة . ولا أستطيع هنا أن أتناول بالدرس كل من عرف بتشيعه من الشعراء ، لأن هذا الكتاب أضيق بكثير من أن يتسع لهذا . إلا أنى أرى لزاما على تتمة للبحث أن أتحدث عن بعض شعراء الشيعة متوخيا فى ذلك الإيجاز . وسأبدأ بذكر الشعراء الذين عاشوا فى أيام الدولة الأموية ثم أتبعهم ببعض من عاشوا فى أيام الدولة العباسية . ثم آتى بعد ذلك بذكر شاعر واحد من شعراء الدولة الفاطمية وهو ابن هانىء الأندلسى .

(١) الكميت

هو الكميت[١] بن زيد الأسدى ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار بن عدنان . قال أبو الفرج[٢] « شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خبير

(١) ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف أن من يقال لهم الكميت من الشعراء ثلاثة من بنى أسد بن خزيمة (أولهم) الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس (والثانى) الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر (والثالث) الكميت ابن زيد الأسدى . والكميت تصغير أكمت على غير قياس . والإسم الكمتة وهو من الخيل بين الأسود والأحمر .

(٢) الأغانى طبع دار الكتب ج ١٥ ص ١٠٩ .

بأيامها ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية ، المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها . وكان فى أيام بنى أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها . وكان معروفا بالتشيع لبنى هاشم ، مشهورا بذلك . وقصائدة الهاشميات من جيد شعره ومختاره .

مولده : ولد فى عام ستين هجرية أيام قتل الحسين . ومات سنة مائة وست وعشرين هجرية فى خلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

أخلاقه وصفاته : كان الكميت شديد الذكاء ، قوى الحافظة ، سريع الجواب ، حاضر البديهة ، فصيحا مفوها ، ملما بأيام العرب ومناقبها ومفاخرها ، عليما بأنسابها . كما كان كريما دينا ، وفارسا شجاعا .

تشيعه : كان الكميت شديد الحب لآل على ، عظيم الولاء والإخلاص لهم . آزرهم وناضل عنهم فى وقت الشدة ، غير مكترث بسطوة الأمويين وبأسهم . وقد تعرض فى سبيل ذلك للهلاك ، وتحمل اضطهادا كبيرا وعناء شديدا . قال الجاحظ « ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميت بقوله :

فإن هِىَ لم تَصْلُح لحىّ سواهُمُ ... فإنَّ ذَوِى القُرْبَى أَحَقُّ وأَوْجَبُ
يقولُونَ لم تُورثْ ولولا تُراثُه ... لَقَدْ شَرَكَتْ فيه بَكيلٌ وأَرْحَبُ (١)

وإنك لتجد فى شعر الكميت ما يدل على تعلقه الشديد بآل على . ومثال ذلك قوله :

بأَىِّ كتابٍ أَمْ بأَيَّةِ سُنَّةٍ ... ترى حُبَّهم عارا على وتَحْسِبُ
فمالِىَ إلاَّ آلُ أحمدَ شيعةٌ ... ومالى إلا مَشْعَبُ الحقّ مَشْعَبُ

(١) قبيلتان من العرب .

ومن غيرهم أرضَى لِنَفْسِيَ شيعةً ... ومن بعدَهم لا من أجلُّ وأَرْجَبُ
إليكم ذوى آلِ النبيِّ تطلَّعت ... نوازِعُ من قلبى ظماءٌ وأَلْبُبُ
فطائفة[1] قد كفرتنى بحبكم ... وطائفة[2] قالوا مسىء ومذنبُ
فما ساءنى تكفيرُ هَاتِيكَ منهم ... ولا عيب هاتيك التى هى أعيبُ
يعيبوننى من خِبهم[3] وضلالهم ... على حبكم بل يسخرون وأُعجبُ
وقالوا ترابى[4] هـواه ورأيه ... بذلك أُدعى فيهمُ وأُلقَّبُ

ومنها :

ألم ترَنِى فى حُبِّ آلِ محمدٍ ... أَرُوحُ وأَغْدو خَائِفا أَترقَّبُ
كأنى جان مُحـدِث وكأنما ... بهم أتقى من خشية العار أَجْرَبُ
على أىِّ جرم أم بأَيَّةِ سيرةٍ ... أُعَنَّفُ فى تقريظهم وأُؤَنَّبُ

* * *

غضب هشام عليه : ولما هجا الكميت خالد بن عبد الله القسرى عامل هشام على العراقين ، أراد خالد أن ينتقم فَرَوَّى جارية حسناء قصائده التى قالها فى بنى هاشم وأَعَدَّها ليهديها إلى هشام ، وكتب إليه بأخبار الكميت وبهجائه بنى أمية ، وأنفذ إليه قصيدته التى يقول فيها .

فيارب هل إلا بك النصر يُبتغَى ... ويارب هل إلا عليك المعول

وهى طويلة يرثى فيها زيد بن على وابنه الحسين بن زيد ويمدح بنى

---

(١) طائفة الخوارج كانت تكفر كل من يحب عليا .
(٢) طائفة الأمويين الذين كانوا يتهمونه بالفسق والعصيان .
(٣) الخب : الخبث والخداع .
(٤) نسبة إلى أبى تراب وهو لقب على بن أبى طالب .

هاشم ، قال أبو الفرج « فلما قرأها — يعنى هشاما — أكبرها وعظمت عليه واستنكرها ، وكتب إلى خالد يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره فأخذ وحبس فى المحبس ».

إلا أن الكميت استطاع أن يهرب من السجن وأقام مدة متواريا « حتى [1] إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه خرج ليلا فى جماعة من بنى أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعد غلامه . قال وأخذ الطريق حتى وصل إلى الشام فتوارى فى بنى أسد وبنى تميم » ثم اختلفت الروايات بعد ذلك فى كيفية وصوله إلى هشام . وانتهى أمره بأن نال عفو الخليفة ورضاه ومدحه بقصيدة قيل إنه ارتجلها ومنها .

ماذَا عليك من الوقو ف بِها وإنَّك غيرُ صاغرْ
درَجَتْ عليك العـــاديا تُ الرائحاتُ من الأَعاصرْ
فالآنَ صرتْ إلى أميـ ـةَ والأمورُ إلى مصايِر

* * *

الهاشميات : وقد جمع شعره الذى قاله فى مدح بنى هاشم وأطلق عليه « الهاشميات » لأنه احتج فيها لبنى هاشم على خصومه وعدد أبياتها خمسمائة وستة وثلاثون بيتا . وقد طبعت فى أوربا ثم فى مصر واهتم غير واحد بشرحها ونشرها . ومن قوله فى مدح الهاشميين .

وهُمُ الآخذون من ثِقةِ الأمـ ـرِ بتَقْواهم عُرَى لا انْفِصامِ
والمصِيبونَ والمجيبونَ للدَّعْـ ـوَةِ والمحرِزُون خَصْلَ التَّرَامِى

(١) الأغانى جـ ١٥ / ١١٠ .

ومُحِلّون مُحْرمون مُقِرّو ن لِحِلّ قَرَارَةٍ وحَرَامِ
ساسةٌ لاكمن يرعى النـــاسَ سواءً ورِعْيَةَ الأَنعامِ
لا كعبدِ المليكِ أو كوليد أو كسليمانَ بعد أو كهشامِ
رأيهُ فيهمُ كرأيِ ذوى الثَّلَّ ـةِ فى الثَّائجاتِ جُنحَ الظلامِ

يقول إن بنى هاشم ينظرون إلى الناس بعين العطف والرعاية ، ويعملون مافيه خير الرعية ، لايدعونهم هملا كالأنعام كما يفعل الأمويون الذين ينظرون إلى الناس نظر صاحب القطع الكثيرة إلى غنمه والثائجات : الضأن. والثلة : الكثير من الضأن .

ثم قال :

فهمُ الأقربونَ من كلّ خيرٍ وهُمُ الأبعدون من كلّ ذامِ
وهم الأَوْفونَ بالناس فى الرأ ـفةِ والأَحلمون فى الأحلامِ
بسطوا أيدِى النَّوالِ وكَفُّوا أيدى البَغْيِ عنهم والعُرَامِ
أخذوا القصدَ فاستقاموا عليه حين مَالت زَوامِلُ الأَيّام

يمدح الهاشميين بقوله إنهم يعملون كل خير ، ويتجنبون كل شر ويبتعدون عما يعاب عليه الناس . وهم الذين يرأفون بالرعية ويسعونها بحلمهم ويشملونها بعطفهم ، ويسبغون عليها يد الجود ، ولا يفكرون فى العدوان على أحد ، أو البغى عليه (والعرام هو الجهل) . وقد اعتدل الهاشميون فى كل الأمور ولزموا جانب العدل والحق حين ركب غيرهم متن الشطط والبغى والجور والعسف : (والزوامل الإبل التى تحمل عليها الحمولة ، فيكون الشاعر قد شبه الآثام بالزوامل) .

ومنهـا :

خيرُ حَيٍّ وميتٍ من بنى آ دمَ طُرًّا مأمومِهم والإمامِ
كأن ميتا جنازة خير ميتٍ غَيَّبته مَقَابِرُ الأقْوامِ
وجَنينًا ومُرْضعا ساكن المه د وبعد الرَّضاعِ عند الفِطَامِ
خير مُسْتَرضِع وخيرَ فَطيم وجنين أُقِرَّ فى الأرحام
وغلاما وناشئا ثم كهلا خَيْرَ كَهْلٍ وناشىءٍ وغلامِ
أنقذ الله شِلْونا من شَفا النـ ـارِ به نعمةً من المِنْعَامِ
طَيِّبَ الأصل طَيِّبَ العَوْدِ فى البنـ ـيَةِ والفرعِ يثْرِبِيٌّ تَهَامِى

يقول إن بنى هاشم خير حى وخير ميت سواء فى ذلك الإمام والمأموم ثم ذكر أن رسول الله كان خير ميت وأكمل إنسان من يوم أن كان جنينا إلى أن انتقل إلى جوار ربه. والشاعر يرجو أن ينجيه الله من عذاب النار بشفاعة رسوله . والمنعام هو الله الذى ينعم على عبيده بالخير والبركات . « والشلو الجلد » « والشفا حرف كل شىء » ثم قال إن الرسول كان طيب الأصل وطيب البنية والتكوين ، طيب الخَلق والخُلق .

* * *

أما بعد فقد رأيت كيف كان الكميت يمدح العلويين وينتصر لهم فى وقت أوجب الأمويون فيه سب علىّ ولعنه ، وتتبعوا كل من عرف بهواه لآل علىّ بالسجن والقتل والتعذيب والاضطهاد والحرمان من كل شىء ، فكان الناس لايجرءون على ذكر على . ولكن بالرغم من كل

هذا كان الكميت الشاعر الوحيد فى عصره الذى استطاع أن يرفع صوته بمدح الهاشميين والدفاع عن حقهم ، والطعن الشديد على الأمويين فى غير خوف ولا وجل . ولم يقلع عن هذا إلا فترة قصيرة حين شعر بالخطر فاضطر إلى مدح الأمويين . رُوى أنه لما حضرته الوفاة فتح عينيه وقال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد .

(٢) كثير

هو أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود . قال أبو الفرج [١] « هو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سلام فى الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريرا والفرزدق والأخطل والراعى . وكان غاليا فى التشيع يذهب مذهب الكيسانية ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحَمَّقا مشهوراً بذلك » . وقال ابن سلام [٢] فى كتابه طبقات الشعراء « سمعت يونس النحوى يقول كان ابن أبى اسحاق يقول : كان كثير أشعر أهل الإسلام .

أخلاقه وصفاته : كان كُثَيِّر ساذجا سريع التصديق لكل ما يقال له . وكان كَثِيرَ التيه بنفسه ، عظيم الخيلاء ، كما كان مفرطاً فى القصر دميم الخلقة . قال ابن سلام الجمحى « قال يونس النحوى : كثير أشعر أهل الإسلام كان قصيرا مفرط القصر . روى عن الوقاص أنه قال : رأيت

(١) الأغانى جـ ٩ ص ٤ . (٢) طبقات الشعراء ص ٢٠٢ .

كثيرا يطوف بالبيت ، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه ، وقد هجاه الشاعر المعروف بالحزين الكنانى بقوله :

قصير القميص فاحِشٌ عند بيته يَعَضُّ القرادُ باَسْتِهِ وهو قائمُ

شاعريته : كان كثير غزير الشعر قويه . ذكر ابن رشيق فى كتاب العمدة ، أن مروان بن أبى حفصه كان يقدم كُثَيِّرًا فى المدح على جرير والفرزدق» . وقال أبو الفتوح «أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال حدثنى الزبير بن بكار قال كتب إلىّ إسحق بن ابراهيم الموصلى حدثنى ابراهيم بن سعد قال : إنى لأروى لكثير ثلاثين قصيدة لَوْ رُقِيَ بها مجنونٌ لأفاق ، وروى أبو الفرج أيضا أن ابن أبى عبيدة كان يملى شعر كثير بثلاثين دينارا .

تشيعه : كان كثير شديد الحب لآل على ، قضى حياته كلها وهو معمور القلب بالإخلاص والولاء لهم . روى أنه كان بمكة فأمر بلعن على فرقى المنبر وأخذ بأستار الكعبة وقال :

ببياضِ الدّماث[1] من بطن ريم فبخفضِ الشُّجُون من[2] الجام
أَيُسَب المطهرون أصولاً والكرامُ الخئول والأَعْمامِ
يأْمنُ الطيرُ والحمامُ ولا يأمنُ آلُ الرسولِ عندَ المقامِ
رحمةُ اللهِ والسلامُ عليهمْ كلَّما قامَ قائِم الأَسلامِ

قال أبو الفرج ، فلما سمع الناس قوله هذا أنزلوه من المنبر وأثخنوه ضربا بالنعال وغيرها فقال :

إن امرا كانتْ مساوِئُهُ حُبَّ النبي لَغَيْرُ ذى عَتَبِ

(١) الدمات جمع دمث وهو المكان اللين ذو الرمل . (٢) الجام موضع فى المدينة .

وبنى أبى حسنٍ ووالدهم من طابَ فى الأَرْحامِ والصُّلْبِ
أترون ذنباً أن نَسَبَهُمُ بل حُبُّهُم كفارة الذنب

وقال ابن عبد ربه فى العقد الفريد « ومن الروافض كثير عزة الشاعر ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له فقال: يابنة أخى ، إن عمك كان يحب هذا الرجل ، فأحبيه ، يعنى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فقالت : نصيحتك ياعم مردودة عليك ، أحبه والله خلاف الحب الذى أحببته أنت ، فقال لها : برئت منك . وأنشد يقول :

برئت إلى الأله من ابن أروى[1] ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عُمَرٍ بَرِئْتُ ومن عَتِيقٍ[2] غَدَاةَ دُعِىَ[3] أمير المؤمنينا

وقد بلغ من حبه لآل على أنه كان يهب لأطفالهم ما يحصل عليه من جوائز وصلات ومنح وهبات . قال أبو الفرج « كان كثير شيعيا ، وكان يأتى ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه ، فيهب لهم الدراهم ويقول : وابأبى الأنبياء الصغار ! فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو أخوهم لأمهم ياعم : هب لى ، فيقول لا ، لست من الشجرة »

علاقته بمحمد بن الحنفية : كان عبد الله بن الزبير شديد الوطأة على العلويين[4] يتتبعهم بكل مكروه ، ويغرى بهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم ، فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم ، ثم بدا له فحبس ابن الحنفية فى سجن عارم ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بنى هاشم فجعلهم فى محبس

(١) ابن أروى : عثمان بن عفان . (٢) عتيق : أبو بكر .
(٣) دعى لغة فى دعى . (٤) الأغانى ج ٩/١٤ .

وملأه حطباً وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلى وسائر شيعة محمد بن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير . فكان ذلك سبب إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أُضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير يومئذ فقال كثير فى ذلك :

لك الويل من عينى خُبَيْبٍ وثابتٍ ... وحمزةَ أشباهَ الحِداءِ (١) التوائم
تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنكَ عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ فى سجنِ (٢) عارم
فمن يرَ هذا الشيخَ بالخيفِ من مِنًى ... من الناس يَعْلَمْ أنّهُ غير ظالِمِ
سَمِيُّ النَّبىِّ المصطفى وابن عمهِ ... وفكاكُ أغْلالٍ ونفّاعُ غارِمِ
أبى فهو لا يَشْرِى هُدًى بضلالةٍ ... ولا يتقى فى اللهِ لومةَ لائمِ
ونَحْنُ بحمدِ اللهِ نتلو كتابَه ... حُلُولاً بهذا الخيفِ خيفِ المحارِمِ
بحيثُ الحَمامُ آمِنُ الروعِ ساكنٌ ... وحيثُ العدوُّ كالصديقِ المسالم
فما فرحُ الدنيا بباقٍ لأَهْلِهِ ... ولا شِدَّةُ البَلْوَى بضربةِ لازم

ومن قوله يمدح محمد بن الحنفية وقد تلطف به ودعاه إليه وسأله عن أبنائه :

أقرَّ اللهُ عينىَ إذ دَعانى ... أمين الله يُلْطِفُ فى السُّؤَالِ
وأثنى فى هواىَ عَلىَّ خيرا ... ويَسْأَلُ عَنْ بَنِىَّ وكيفَ حالِى

(١) خبيب وثابت وحمزة أولاد عبد الله بن الزبير . والحداء جمع حدأة وهى الطائر والتوائم جمع توأم . (٢) قوله عائذ لقب عبد الله بن الزبير لأنه عاذ بالبيت . والمظلوم هو ابن الحنفية وسجن عارم سجن بمكة .

وكيف ذكرت حال أبى خَبَيْبٍ وزِلَّةَ فعلهِ عندَ السؤالِ [1]
هو المهدىُّ خَبَّرناه كعب أخو الأحبار فى الحقب الخوالى

والبيت الأخير يظهر لنا كيف كان الشيعة يستحلون لأنفسهم الكذب فى سبيل تأييد مذهبهم . فأنت ترى كثيراً قد أدعى فى هذا البيت أن كعبا خبره بأن ابن الحنفية هو المهدى المنتظر . فلما قيل له ألقيت كعبا ؟ قال : لا ، قيل له : فلم قلت « خبرناه كعب » ؟ قال بالتوهم [2]

اعتقاده فى ابن الحنفية : كان كثير يقدس ابن الحنفية ويجله ويرى أنه هو المهدى المنتظر . ومع أن ابن الحنفية مات سنة ٨١ هـ بالمدينة وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ودفن بالبقيع ، إلا أن كثيرا رفض كما رفض غيره ممن يذهب مذهب الكيسانية أن يصدق ذلك ، وظل معتقدا بأنه حى لم يمت ، يقيم بجبل رَضْوَى وعنده عسل وماء وأن الملائكة تسعى إليه وتراجعه الكلام . وهو بين أسد ونمر يَحْفَظَانِهِ قال :

ألا إنَّ الأئمةَ من قريشٍ ولاةُ الحق أربعـــةٌ سواءُ
علىٌّ والثلاثةُ من بنيه هُمُ الأسباطُ ليس بهم خفاءُ
فسبطٌ ســـبطُ إيمانٍ وبر وسبطٌ غَيَّبَتْهُ كربلاءُ
تَغَيَّبَ لا يُرى عنهم زَماناً بِرَضْوَى عنده عَسَلٌ وماءُ

علاقته بأبى هاشم عبد الله : وكان كثير على درجة كبيرة من الغفلة وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن على يعلم ذلك جيدا فكان يضع الأرصاد على كثير . فلا يزال يؤتى بالخبر من عنده ، فيقول إذا لقيه : كنت فى

(١) أبو خبيب هو عبدالله بن الزبير .
(٢) الأغانى حـ ٩ / ١٦ .

كذا وكنت فى كذا ، إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلام فأتى به أبو هاشم فأقبل به على أدراجه ، فقال له أبو هاشم : كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا ، وقال لك كذا وكذا ، فقال له كثير : أشهد أنك رسول الله » .

مدحه لآل مروان : وكان كثير مع حبه الشديد لآل علىّ يمدح آل مروان ليظفر منهم بالعطايا والمنح . ولا شك فى أنه لم يكن صادقا فى مدحهم ، وكان بنو أمية يعلمون منه ذلك ويحتملونه منه لأنه كان يمدحهم فيحسن مدحهم . قال أبو الفرج[1] « وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يُغيرهم ذلك لجلالته فى أعينهم ولطف محله فى أنفسهم وعندهم » . وقد قال له ابن الحنفية « تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان » قال : « إنما أسخر منهم وأجعلهم حيات وعقارب ، وآخذ أموالهم » ومن هذا ترى الفرق عظيما بين كثير والكميت . فالكميت عرض نفسه كما مر بنا للهلاك أما كثير فإنه استطاع أن يجمع بين حبه لآل على وبين رضا آل مروان فلم يتعرض لمثل ما تعرض له الكميت بل عاش آمناً مطمئنا . وقد رحل إلى العراق وقدم مصر واشتهر بكثرة غزله بحسناء تسمى عَزّة حتى قرن بها فأصبح يعرف باسم (كُثَيِّر عَزَّة)

وفاته : توفى كثير عام ١٠٥ هـ فى نفس اليوم الذى توفى فيه عكرمة مولى ابن عباس . قال أبو الفرج : « فاجتمعت قريش فى جنازة كثير ، ولم يوجد لعكرمة من يحمله . وقيل مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس »

(١) الأغانى جـ ٩/ ٤ .

(٣) العبلى

هو عبدالله بن عمر ينتهى نسبه إلى عبدالله بن شمس بن عبد مناف . فهو أموى النسب ولكنه كان علوى الهوى . ويكنى أبا عَدِيٍّ وهو كما قال صاحب الأغانى شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين .

تشيعه : كان أبو عدى محباً لآل على ، مخلصا فى حبه لهم . وقد جر عليه هذا سخط الأمويين فاضطهدوه واحتقروه ، وأقصوه عنهم ، ومنعوا عنه عطاءهم وقد احتمل كل هذا دون أن تلين قناته . قال أبو الفرج وكان أبو عدى الأموى الشاعر يكره مايجرى عليه بنو أمية من ذكر على ابن أبى طالب صلوات الله عليه ، وسبه على المنابر ، ويظهر الإنكار لذلك فشهد عليه قوم من بنى أمية بمكة بذلك ونهوه عنه فانتقل إلى المدينة وقال فى ذلك .

شَرَّدوا بى عند امتداحِى عليًا ... ورأوا ذاك فىّ داءً دَوِيًا
فورَبِّى لا أبرحُ الدهرَ حتَّى ... تُخْتَلَى[1] مُهجتى بحبى عَلِيًا
وبنيه لحبِّ أحمـــدَ إنى ... كنتُ أحبَبْتهم بحبِّ النبيًا
حُبُّ دينٍ لا حُبُّ دنيا وشرِّ الـ ... ـحُبِّ حبٌّ يكون دُنْيَاوِيًا
صاغنى اللهُ فى الذؤابةِ منهم ... لازنيما ولا سنيدا[2] دعيًا
عَدَوِيًّا خالى صريحا وجدِّى ... عبدُ شمس وهاشم أَبَوِيًا
فسواءٌ علىَّ لست أبالى ... عَبْشَمِيًّا دُعِيت أم هاشِمِيًّا

(١) تقطع مهجتى : يقول إنه يموت على حبهم .
(٢) الدعى بالقوم اللصيق بهم دون أن يكون منهم .

وكان أحيانا يمدح الأمويين لينال منهم شيئا من العطاء ولكنهم كانوا يعرضون عنه ويهملون أمره . وإذا منحوه فالنزر اليسير . لقد مدح هشام بن عبد الملك بقصيدة جاء فيها :

عبد شمس أبوك وهو أبونا لاتناديك من مكان بعيدِ
والقرابات بيننا واشجاتٌ مُحْكَماتُ القوى بحبل شديد

وظل العبلى واقفا بباب هشام بينما سائر الناس قد سمح لهم بالدخول وأخيرا دعى فمنحه هشام قدرا يسيرا من المال لم يرضه لنفسه فانصرف وقال :

خَسَّ حظى أن كنتُ من عبدِ شمسٍ ليتنى كنت من بنى مخزومِ
فأفوزَ الغـــداةَ فيهم بسهم وأبيعَ الأبَ الكريمَ بلومِ

وبنو مخزوم سبقوا أبا عدى فى الدخول على هشام فأجزل لهم العطاء

* * *

ولما سقطت الدولة الأموية رثاها بقصيدة قوية جاء فيها :

فبنو أمية خير من وطىء الثرى شرفا وأفضل ساسة أمراؤها

* * *

ولما أفضت الدولة إلى بنى هاشم وجدُّوا فى تعقب الأمويين والفتك بهم حتى خشى صاحبنا على حياته من الهلاك إذ أنه أموى النسب كما قدمنا . قال صاحب الأغانى « كان أبو عدى الذى يقال له العبلى مجفوا فى أيام بنى مروان ، وكان الأمر فى قتلهم جد إلا من هرب وطار على وجهه فخاف أبو عدى أن يقع به مكروه فى تلك الفورة فتوارى . وأخذ

داود بن على حرمه وماله ، فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح ، فدخل عليه فى غمار الناس متنكرا وجلس حَجْرَةً (ناحية) حتى تقوض القوم وتفرقوا وبقى أبو العباس مع خاصته ، فوثب إليه أبو عدى فوقف بين يديه وقال قصيدة جاء فيها :

إلى أهلِ الرسولِ غدتْ برَحْلى عُذافِرةٌ تَرامَى بالصَّحارى

ومنها :

أتؤخذُ نِسْوَتى ويُحاز مالى وقد جَاهَرْتُ لو أغنى جهارِى
وأُذعَرُ أن دُعيتُ لعبدِ شمسٍ وقد أَمْسَكْتُ بالحَرَمِ الصَّوَارِى
بنصرةِ هاشمٍ وبحق صِهْرٍ لأحمدَ لَفَّهُ طِيبُ النِّجارِ
ومنزلُ هاشمٍ من عبد شمسٍ مكانُ الجِيدِ من عُلْيا الفِقَارِ

فقال له السفاح : من أنت ؟ فانتسب له فقال له : حق لعمرى أعرفه قديما ومودة لا أجحدها ، وكتب إلى داود بن على بإطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه وإكرامه ، وأمر له بنفقة توصله المدينة »[1] .

غضب المنصور عليه : ولكن المنصور سمع بقصائده التى يرثى بها بنى أمية فاستقدمه إلى قصره واستنشده تلك القصائد فقال له : اعفنى يا أمير المؤمنين ، ولكن المنصور أبى إعفاءه ، فأنشد إحدى هذه القصائد بعد أن أمنه المنصور على حياته ، حتى إذا وصل إلى قوله :

فبنو أميَّةَ خير من وَطِىءَ الثرى شرفا وأفضلُ ساسةٍ أمراؤُها

قال له : اخرج عنى لا قرب الله دارك . فخرج من عنده حتى اذا جاء

(١) الأغانى جـ ١١/٢٩٣ .

المدينة وجد محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج على المنصور فانضم إليه وبايعه . وكان محمد بن عبد الله شديد الميل للعبلى ، فعينه واليا على الطائف فذهب إليها وأقام بها حتى انهزم محمد بن عبد الله فشعر صاحبنا بالكارثة التى تعرض لها فهرب إلى اليمن .

(٤) السيد الحميرى

هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، يكنى أبا هاشم ويلقب بالسيد . وهو يمنى من حمير . قال :

إنى امرؤ حميرى غيرُ مُؤتَشِبٍ جَدِّى رُعَيْنٌ واخوالى ذوو يَزَن
ثم الولاء الذى أرجو النجاةَ به يومَ القيامةِ للهادِى أبى الحسنِ

مولده : ولد السيد الحميرى من أبوين إباضيين[1] بالبصرة عام ١٠٥هـ فى نفس السنة التى مات فيها كثير . وكان أبواه يكفران عليا ويسبانه . روى الأصفهانى[2] عن اسماعيل بن الساحر راوية السيد أنه قال « كنت عنده يوما فى جناح له ، فأجال بصره ثم قال ، : يا إسماعيل ، طال والله ما شتم أمير المؤمنين علىّ فى هذا الجناح . قلت : ومن كان يفعل ذلك ؟ قال : أبواى ، وفى ذلك يقول :

لعن الله والدىَّ جميعـــا ثم أصلاهما عَذابَ الجحيم

شاعريته : والسيد الحميرى شاعر مفلق مطبوع ، جيد الشعر إلى أبعد حد ، كثير القصيد . قال الجاحظ فى كتاب البيان[3] والتبيين

(١) قوم من الخوارج يسبون عليا ويكفرونه .
(٢) الأغانى . (٣) البيان والتبيين جـ ١/ ٥٤ .

« والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلى ، والسيد الحميرى ، وأبو العتاهية وابن أبى عيينة » وقال أبو الفرج « وكان شاعرا متقدما مطبوعا ، يقال بأن أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم » وكان الأصمعى يقول « لولا مذهبه ولولا ما فى شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته » .

ونحن الآن نقرأ كثيرا لأبى العتاهية ، ولكننا لا نكاد نجد شيئا نقرأه للسيد ، فقد ضاع شعره ، وماتت شهرته ، واندثرت أخباره وقبر فى زوايا النسيان ، وذلك لأن شعره حوى كثيرا من السب للصحابة فهجره الناس خوفا على أنفسهم من الكفر . قال صاحب الأغانى : « وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره ، وما يستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفا وتوقيا » .

تشيعه : نشأ السيد الحميرى فى بيت كثر فيه سب على ولعنه ، فلم يسلك مسلك أبويه فى هذا ، بل مال بطبيعته إلى آل على ، وأحبهم حبا شديدا وأخلص فى حبه ، وأفرط فى ولائه . وقد عرف أبواه ذلك منه فهما بقتله . وكان على مذهب الكيسانية يدين برجعة محمد بن الحنفية . قال الشهرستانى[1] عند الكلام عن محمد بن الحنفية « كان السيد الحميرى

(١) الملل والنحل ص ٥٦ .

يعتقد أنه لم يمت وأنه فى جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » ، وقال صاحب فوات الوفيات « كان رافضيا زائغا عن القصد له مدائح جمة فى آل البيت » . وقال ابن حزم[1] « ومنهم من قال بنبوته » أى على بن أبى طالب ، وبتناسخ الأرواح ومنهم السيد الحميرى » . والرأى عندى أن ابن حزم لم يوفق إلى الصواب فيما ذكر عن السيد ، فأخبار هذا الشاعر وقصائده التى وصلت إلينا لا تؤيد قول ابن حزم فيه بل هى تثبت إثباتا قاطعا أن السيد كان يؤمن بعلى كوصى للرسول وكخليفة له بالنص وأن من خالف أمر الرسول فقد كفر ، ولهذا انهال على بعض الصحابة ممن ناهضوا عليا بالطعن والسب واللعن .

* * *

عاش السيد طوال حياته يشيد بمناقب آل البيت ، ويذود عنهم ، ويدافع عن حقوقهم المهضومة ، وكان قويا فى دفاعه ، جريئا فى إظهار حبه وإخلاصه . وقد بلغ به حبه لآل على أنه كان إذا رأى رجلا ينال منهم لا يتأخر عن قتله إن استطاع إلى ذلك سبيلا . روى أنه كان مسافرا إلى الأهواز على ظهر سفينة ، وكان معه رجل أظهر بغضه لعلى ، فلما كان الليل قام هذا الرجل ووقف على حرف السفينة ليبول ، فما كان من السيد الحميرى إلا أن دفعه فهوى المسكين فى الماء وغرق .

وسمع مرة رجلا ينال من عثمان فقال :

شَفَيْتَ من نعثلٍ فى نَحتِ أَثْلَتِهِ ... فاعْمَدْ هُديتَ إلى نحتِ الغَوِيَّيْنِ

اعْمَدْ هُديتَ إلى نَحْتِ اللذينِ هما ... كانا على الشرِّ لو شاءا غَنِيَّيْنِ

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١١٤ .

وقال وهو يحتضر :

بَرِئْتُ إلى الإلهِ من ابنِ أرْوَى ومِن دينِ الخوارِجِ أجْمَعينـا

* * *

وكان السيد كما رأيت مما تقدم يدين بإمامة محمد بن الحنيفة ويعتقد أنه هو المهدى المنتظر . فهو من هذه الناحية يتفق مع كثير فى المذهب ، ونتج عن هذا أن بعض أشعار أحدهما تنسب للآخر . وللسيد الحميرى قصيدة جيدة خاطب فيها ابن الحنفية مستعجلا عودته لأنه غاب ستين عاما ، وقد أضر غيابه بقومه . قال :

ألا قلْ للوصىّ فدتْكَ نفسى أطلْتَ بذلكَ الجبلِ المقامَا
أضرَّ بمعشرٍ والَوْك منا وسَمَّوْكَ الخليفةَ والإمامَا
وعادَوا فيك أهلَ الأرض طرًّا مقامُك عنهم ستّين عامَا
وما ذاقَ ابنُ خولةَ طعمَ موتٍ ولا وارتْ له أرضٌ عظامَا
لقد أَوْفى بمورقِ شِعبِ رَضوى تراجِعُه الملائكةُ الكلامَا
وإنّ له به لَمَقِيلَ صدقٍ وأنديةً تحدِّثه كِرامَا
هدانا اللهُ إذ جُزْتم لأَمْرٍ به ولديه نلتمس التَّمامَا
تمام مودةِ المهدىّ حتى تروا راياتِنا تَتْرى نِظامَا

وقد نسب الدكتور طه[1] حسين بك هذه القصيدة إلى كثير . قال « وأنا أروى لك شيئا من شعر كثير فيها « الرجعة » فانظر إلى هذه الأبيات الجيدة التى يتعجل بها عودة ابن الحنفية إلى الأرض ليرفع فيها لواء بنى هاشم » ثم أورد القصيدة السالفة وعلق عليها بقوله « ولعلك

(١) حديث الأربعاء جـ ١ / ٣٦٥ .

تلاحظ معى أن غياب محمد بن الحنفية وإن كان أضر بقوم فليس كثير من هؤلاء القوم » . ولكن نسبة هذه القصيدة إلى كثير خطأ شنيع لأن نظرة بسيطة فيها تنفى نسبتها إلى كثير نفيا باتا . أنظر إلى ما ورد فيها .

وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامُك عنهم ستين عاما

فإذا كان محمد بن الحنفية مات عام ٨١ هـ لزم أن يكون قائل هذا الشعر موجودا فى عام ١٤١ هـ . ومن حيث إن كثيرا مات فى عام ١٠٥ هـ ولم يعش ستين عاما بعد ابن الحنفية ، فمن المؤكد أنه لم يقل هذا الشعر .

* * *

كان السيد لا يسمع بمنقبة لعلى إلا نظم فيها شعرا . وحدث أنه كان فى مجلس ونسب إليه الرفض فأنكر ، فطلب منه بعض الحاضرين أن يمدح أبا بكر وعمر . فقال فى ذلك مشيرا إلى حادثة غدير خُم ، وقد سبق أن تكلمنا عنها عند الشعر المنسوب إلى الإمام على .

إذا أنا لم أحفظْ وَصاةَ محمدٍ ولا عَهدَهُ يومَ الغَديرِ المؤكدَا
فإنى كمن يَشْرِى الضلالةَ بالهدَى تَنَصَّرَ من بعدِ التُّقى وَتَهوَّدَا
ومالى وتيم أو عدى وإنّما أُولُو نعمتى فى الله من آلِ أحمدَا
تَتِم صلاتِى بالصَّلاةِ عليهمُ وليستْ صلاتِى بعد أن أتَشهَّدَا
بكاملةٍ إن لم أصلِّ عليهمُ وأَدعُ لهم ربا كريما مُمَجَّدَا
بذلتُ لهم وُدِّى ونُصحى ونُصْرَتِى مَدَى الدهرِ ما سُمِّيتُ باصاح أحمدَا
وإن أمرأً يُلْحَى على صدقِ ودِّهِم أحقُّ واولَى فيهم أن يُفَنَّدَا
فإن شئتَ فاختر عاجل الغَمِّ ضَلَّةً وإلا فأَمْسِكْ كى تصانَ وتُحْمَدَا

ثم نهض مغضبا .

وسمع السيد مرة رجلا يقول : أشعر الناس من قال :

محمد خيرُ من يمشى على قدمٍ وصاحِبَاهُ وعثمانُ بْنُ عفانا

فوثب السيد وقال : أشعر والله منه الذى يقول :

سائلْ قريشًا إذَا ما كنتَ ذَا عَمَهٍ من كانَ أثبتَهَا فى الدينِ أَو تَادَا
من كان أعلَمَها علما وأحلَمها حلما .وأصدَقَها قولاً وميعادَا
إن يَصدُقوكَ فلَن يَعدُوا أَبا حسنٍ إنْ أنتَ لم تلْقَ للأَبْرَار حُسَّادَا

* * *

وكان السيد يجلس مع قوم أخذوا يتحدثون عن الزرع والنخل ، فهم بالانصراف فسئل عن سبب ذلك فقال .

إنى لأكرهُ أن أطيلَ بِمجلسٍ لا ذِكْرَ فيهِ لِفَضْلِ آلِ محمدِ
لا ذكر فيهِ لأحمـــدٍ ووصِيِّهِ وبنِيهِ ذلكَ مجلسٌ نطف ندِى
إن الذى ينسَـــاهُمُ فى مجلس حتى يُفَارِقَهُ لَغَـــيْر مُسَدَّدِ

ومن قوله فى محمد بن الحنفية .

يُغَيَّبُ عنهمُ حتى يقولُوا تَضَمَّنَهُ بِطَيْبَةَ بَطْنُ لحـــدِ
سِنِينَ وأَشْهرًا ويُرَى بِرَضْوَى بِشِعب بين أَنْمارٍ وأُسْـــدِ
مُقيمٌ بين آرامٍ وعِـــينٍ وَحفَّانٍ تروح خِلالَ رُبْدِ
تُراعِيها السباعُ وليْسَ مِنها مُلاقِيهُنَّ مُفْتَرِسًا بِحَـــدِّ
أمِنَّ به الرَّدى فرتعن طَورا بلا خَوفٍ لدى مرْعىً وَوَرْدِ

حلفتُ برب مكةَ والمُصَلَّ وبيتٍ طاهرِ الأَرْكانِ فَرْدِ
يَطوفُ به الحجِيجُ وكلَّ عام يَحُلُّ لدَيْه وفدٌ بعد وَفْدِ
لقد كان ابنُ خولةَ غيرَ شكٍّ صَفاءً ولايتى وخُلوصَ وُدّى
فما أحـــدٌ أحَبُّ إلىَّ فيما أُسِرُّ وما أبوحُ به وأُبْدى

وهى طويلة ترى فيها خيالا ممتعا أخذ ينمو يوما بعد يوم حتى أصبح عند عامة المسلمين حقائق لا تقبل الشك ولا يأتيها الباطل .

مدحه للعباسيين : ولما كان السيد يؤمن برجعة ابن الحنفية ، لم يجد بأسا فى مدح العباسيين ، فقال فيهم القصائد الرائعة ، ونال منهم الجوائز والصلات . وكان العباسيون يعرفون أنه غير صادق فى مدحهم لكنهم كانوا يتغاضون عنه . وقد كان لا يرى مانعا من كسب عطف العباسيين وانتظار ساعة الفرج والخلاص ، تلك الساعة التى اشتاق كثيرا إليها ، وهى التى يرجع فيها محمد بن الحنفية يقدمه اللواء ، ليملأ الأرض عدلا وصلاحا كما ملئت جورا وفسادا . وهو فى موقفه من العباسيين يشبه تماما موقف كثير من الأمويين .

وفاته : توفى السيد ببغداد عام ١٧٣ هـ فى أوائل خلافة الرشيد .

(٥) دعبل الخزاعى

هو دِعْبِلُ بن على بن رزين بن سليمان ، ويكنى أبا على . ينتهى نسبه إلى خزاعة فهو يمنى ولذلك كان يتعصب لليمانية .

مولده : ولد عام ١٤٨ هـ ببلدة الطيب وهى بين واسط وبغداد .

شاعريته : قال ابن خلكان « كان شاعرا مجيدا ، إلا أنه كان بذىء اللسان ، مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس » وقال أبو الفرج[١] « شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان » وهو تلميذ مسلم بن الوليد الأنصارى وعليه تخرج . وكان البحترى يفضله على مسلم . قال « دعبل بن على أشعر عندى من مسلم » فقيل له : وكيف ذاك ، قال « لأن كلام دعبل أدخل فى كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم[٢] » .

أخلاقه وصفاته : كان دعبل هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ، ولا من الوزراء ولا من أولادهم ولاذو نباهة أحسن إليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أو عظيم . هجا الرشيد والمأمون والمعتصم . وكان كثير الأسفار ، أقام مدة ببغداد ثم رحل منها إلى دمشق ومصر كما سافر إلى خراسان .

تشيعه : قال أبو الفرج « وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل إلى على صلوات الله عليه » وقد نظم قصيدة فى مدح آل البيت تعتبر من أحسن الشعر وأسنى المدائح ، قصد بها أبا على بن موسى الرضا بخراسان

(١) الأغانى جـ ١٨/٢٩ .
(٢) الأغانى جـ ١٨/٣٧ .

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وخلع عليه بردة من ثيابه فسمع بذلك أهل بلدة قم « وهى بين خراسان والعراق ، فقصدوا دعبلا وعرضوا عليه أن يبيعهم هذا الثوب بثلاثين ألف درهم فأبى فألحوا عليه ولكنه أمعن فى الإباء ، ففكروا فى أن يأخذوه غصبا ، عندئذ اضطر إلى إجابتهم إلى ما طلبوا على أن يعطوه كفًّا يضعه فى كفنه . وقد قيل إنه كتب هذه القصيدة فى ثوب وأحرم فيه وأوصى أن يكون فى أكفانه . قال ياقوت : « ونسخ هذه القصيدة مختلفة فى بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة ، وإنا موردون هنا ما صح منها . قال :

مَدَارِسُ آياتٍ خَلَت من تِلاَوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مُقْفِرُ العَرَصات
لآلِ رَسولِ اللهِ بالخَيْفِ من مِنًى ... وبالرُّكْنِ والتَّعْريف والجَمَرات
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ ... وحمزةَ والسَّجادِ[1] ذى الثفنات
ديارٌ عفاها كل جَوْنٍ مُباكرٍ ... ولم تَعْفُ للأَيَّامِ والسَّنَوات
قِفَا نسألِ الدارَ التى خَفَّ أَهْلُها ... متى عهدُها بالصَّوْمِ والصَّلَوات
وأينَ الأُولَى شَطَّتْ بِهم غُرْبَةُ النَّوى ... أَفانينَ فى الآفاقِ[2] مُفْتَرقاتِ
همُ أهلُ ميراثِ النبيِّ إذا اعتَزَوْا ... وهُمْ خيرُ قاداتٍ وخيرُ حُماةِ
وما الناسُ إلا حاسِدٌ ومُكذِّب ... ومضْطَغِنٌ ذو إحْنَةٍ وتِرات
إذا ذَكروا قَتْلَى بِبَدْرٍ وخَيْبَرٍ ... ويوم حُنينٍ أَسْبَلُوا العَبَرات
قبورٌ بكُوفاتٍ وأُخْرَى بِطَيْبَةٍ ... وأُخْرَى بفخٍّ نالَها صَلَواتى

(١) هو على بن عبد الله بن العباس سمى بذلك لكثرة السجود يريد أن ركبتيه تأثرتا بالسجود .

(٢) شطت بعدت وأفانين حال مما قبله .

وقبرٌ ببغدادٍ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ ... تضمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فى الغُرُفاتِ

فأَمَّا المُصِمَّاتُ التى لستُ بالغاً ... مبالِغَها مِنِّى بكُنْهِ صِفاتِ

إلى الحشْرِ حتى يبْعَثَ اللهُ قائِمًا ... يُفَرِّج منها الهمَّ والكُرُباتِ

نفوسٌ لدى النَهْرَين من أرضِ كربلا ... مُعَرَّسُهم فيها بِشَطِّ فُرَاتِ

تَقَسَّمَهُمْ رَيْبُ الزمانِ كما تَرى ... لُهَمْ عُمْرَةٌ مَغْشِيَّةُ الحُجرَاتِ

سِوى أَنَّ مِنْهُمْ بالمدِينَةِ عُصْبَةً ... مَدى الدَّهْرِ أنضاءٌ عن الأَزمات

قليلةُ زُوَّارٍ سِوى بعضِ زُورِ ... من الضِّبْعِ والعِقْبَانِ والرَّخَمَاتِ

لَهُمْ كلَّ حينٍ نومةٌ بمضاجعٍ ... لُهمْ فى نَواحِى الأرضِ مُخْتَلِفاتِ

وقد كان منهمْ بالحجازِ وأهلِها ... مَغَاوِيرُ[1] يُخْتَارُونَ فى السَّرَواتِ

تَنكَّبُ لأُوَاءَ[2] السِّنين جوارَهُم ... فلا تصطليهم جَمْرَةُ الجَمَراتِ

إذا وَرَدوا خَيلا تَشَمَّسَ بالقَنا ... مَساعِرُ جَمْرِ الموتِ والغَمَرَاتِ

وإن فَخَرُوا يوماً أَتَوْا بِمُحَمَّدٍ ... وجبريلَ والفرقانِ ذى السُّورَاتِ

مَلامكَ فى أَهْلِ النبىِّ فإنَّهم ... أَحِبَّاىَ ما عاشُوا وأهلُ ثِقَاتِى

تَخَيَّرْتُهُمْ رُشْدًا لأَمْرِى فإنَّهُم ... على كُلِّ حالٍ خِيرَةُ الخِيرَاتِ

فيارَبِّ زِدْنِى من يَقِينِى بصيرةً ... وزِدْ حُبَّهُمْ يارَبِّ فى حَسَنَاتِى

بنَفْسِى أَنْتُمْ مِنْ كهُولٍ وفِتْيَةٍ ... لِفَكِّ عُناةٍ أو لِحَمْلِ دِيَاتِ

أُحِبُّ قَصِىَّ الرَّحم من أَجْلِ حبِّكم ... وأَهْجُر فيكم أُسْرَتِى وبَنَاتِى

(١) مغاوير جمع مغوار : المقاتل الكثير الغارات .

(٢) اللأواء : الشدة وضيق العيش .

وأكتم حبيكم مخافة كاشح ... عنيد لأهل الحق غير مواتِ
لقد حفت الأيام حولى بشرها ... وإنى لأرجو الأمن بعد وفاتى
أرى فيئهم فى غيرهم متقسماً ... وأيديهم من فيئهم صفراتِ
فآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زياد حفل القصرات[1]
بنات زياد فى القصور مصونة ... وآل رسول الله فى الفلواتِ
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم ... أكفا عن الأوتار منقبضاتِ
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غدٍ ... لقطع قلبى إثرهم حسراتى
خروج إمام لا محالة خارجٍ[2] ... يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميز فينا كل حق وباطلٍ ... ويجزى على النعماء والنقماتِ
سأقصر نفسى جاهدا عن جدالهم ... كفانى ما ألقى من العبراتِ
فيا نفس طيبى ويا نفس أبشرى ... فغير بعيدٍ كل ما هو آتِ
فإن قرب الرحمن من تلك مدتى ... وأخر من عمرى لطول حياتى
شفيت ولم أترك لنفسى رزيةً ... وروّيت منهم منهلى وقناتى
أحاول نقل الشمس من مستقرها ... وأسمع أحجارا من الصلداتِ
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ ... يميل مع الأهواء والشبهات
فصار ترى منهم أن أموت بغصةٍ ... تردد بين الصدر واللهواتِ
كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها ... لما ضمنت من شدة الزفرات

(١) جمع قصرة وهى العنق .
(٢) خارج صفة لامام وخبر لامحذوف تقديره واقع

فأنت تلمح فى هذه القصيدة أن دعبلا كان يرى رأى كثير والسيد الحميرى من أن هناك إماما سيرجع ويقوم على اسم الله والبركات ، يزيل ماوقع على العلويين من ظلم واضطهاد ، وينتقم من أعدائهم شر انتقام . وكان دعبل يعلل نفسه بهذه الآمال ويعزيها ويواسيها بخروج إمام لامحالة خارج . ولم يسلك دعبل سبيل كثيّر والسيد الحميرى فى هجاء الصحابة وسبهم ، بل اكتفى بمدح العلويين والطعن فى أعدائهم من أمويين وعباسيين . وقد بكى على بن موسى الرضاء بكاء شديدا حينما أنشده دعبل هذه القصيدة ، وتجلى حزنه وجزعه ، وارتفع عويل النساء وصياحهم فكان من هذا منظر مؤثر . وفى هذه القصيدة يقول أبو الفرج [٢] « وقصيدته مدارس آيات خلت من تلاوة . من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة فى أهل البيت عليهم السلام » . وقال ياقوت (قصيدته التائية فى أهل البيت من أحسن الشعر وفاخر المدائح)

وفاته : وظل دعبل طول حياته مرهوب اللسان ، خائفا من هجائه للخلفاء ، فقضى دهره كله هاربا متواريا . . كان يقول « أنا أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنة لست أجد أحدا يصلبنى عليها »

مات سنة ٢٤٦ هـ

(١) الأغانى جـ ١٨/٢٩

(٦) ابن الرومى

هو على بن العباس . ولد ببغداد عام ٢٢١ هـ وتوفى بها عام ٢٨٤ هـ فأدرك ثمانية خلفاء من بنى العباس . وكانت الخلافة العباسية فى تلك الأيام قد سقطت مكانتها إلى الحضيض ، وزالت هيبتها وانعدم نفوذ الخلفاء وانحلت الامبراطورية الإسلامية وقامت على أنقاضها دول مستقلة

شاعريته: كان ابن الرومى قوى الشاعرية ، يغوص على المعانى غوصا ويأتى بما يثير الإعجاب فى النفوس . وقد ترك شعراً كثيرا جمع فى ديوان ضخم .

أخلاقه وصفاته : كان ابن الرومى يتطير ويفرط فى التطير وقد عرف أصحابه منه ذلك فركبوه بالدعابة والسخرية . وكان ابن الرومى جريئا جدا فى هجاء الأمراء والوزراء والعظماء ، لم يسلم من لسانه أحد من معاصريه . وبينه وبين دعبل شبه كبير فى هذا الباب .

ثقافته وتهذيبه : أخذ ابن الرومى بقسط وافر من العلوم والمعارف فألم بالفلسفة إلماما جيدا ظهر أثره فى شعره كما ألم بقسط وافر من الشعر وحفظ القرآن فى صباه ، ووعى قدرا وافرا من التاريخ والأدب .

تشيعه : كان ابن الرومى محبا لآل على . وقد ورث هذا الحب عن أبويه ، فقد كانت أمه من أصل فارسى والفرس بطبيعتهم ميالون إلى آل على . وسمى عليا وهو أحب اسم عند الشيعة . ولذلك نشأ على ما نشأ عليه أبواه من ولاء وإخلاص لآل البيت وكان غاضبا على العباسيين ، ساخطا عليهم ، يتمنى زوالهم ويشتهى ذهابهم ، ويؤمل أن تقوم على

أنقاض الخلافة العباسية خلافة علوية . وله قصيدة جيمية يرثى بها يحيى بن عمر بن حسين بن على . وكان قد ثار فى وجه العباسيين ، بعد أن حرمه العباسيون من المال حتى أملق إملاقا شديدا وعانى شظف العيش وقسوة الفقر . وكان يحيى محبوبا من الناس لما امتاز به من صفات حميدة ، وخلال كريمة . وقد هزم وقتل وحملت رأسه إلى بغداد وعلقت على عمود ، فلما رآها البغداديون هموا بالثورة فبادر أولو الأمر بإنزالها ، وقد ثار خاطر ابن الرومى وعظم ألمه لما يقع على آل البيت من نكبات جسام من حين إلى حين ، فجادت قريحته بقصيدة فى منتهى القوة والروعة نذكر منها :

أمامَك فانظرْ أىَّ نهجيْكَ تَنْهَجُ ... طريقَان شتَّى ، مستقيمٌ وأعوجُ

ألاَ أيُّهذَا الناس طالَ ضريرُكم ... بآلِ رسولِ اللهِ فاخشَوْا وارتَجُوا

أكلُّ أوانٍ للنبىِّ محمد ... قتيلٌ زكىٌّ بالدماء مُضَرَّجُ

تَبيعون فيه الدينَ شر أئمة ... فللهِ دينُ اللهِ قد كادَ يَمْرَجُ

بنِى المصطفى ! كم يأكلُ الناسُ شِلْوكُم ... لِبَلْوا كُمُ — عما قليل — مُفرَّجُ

أما فيهمُ راعٍ لحقِّ نبيِّـــهِ ... ولا خائفٌ من ربه يَتحَرَّجُ

ألا خابَ من أنساه منكم نصيبَهُ ... متاعٌ من الدنيا قليلٌ وزَبْرَجُ

أبَعْدَ المكنَّى بالحسين شهيدكم ... تضىء مصابيحُ السماءِ فتَسْرَجُ

وكيفَ نُبَكِّى فائزًا عند رَبِّه ... له فى جِنانِ الخلدِ عيشٌ (١) مُخَرْفَجُ

وقد نال فى الدنيا سَناءَ وصيةٍ ... وَقامَ مَقَامًا لَمْ يَقُمْهُ مُزَلَّجُ

فإنْ لايكنْ حَيًّا لِدُنْيَا فإنَّه ... لدَى اللهِ حَىٌّ فى الجِنَانِ مُزَوَّجُ

وكنا نُرَجِّيهِ لِكَشْفِ عَمَايةٍ ... بأمثالِهِ أمثـــالُها تَتَبَلَّجُ

أَبيتُ إذَا نامَ الخَلِيُّ كأَنَّما ... تُبَطِّنُ أَجْفَانِى سيالٌ وعَوْسَجُ
أيحْيَى العُلَى لذِكراكَ لهفةٌ ... يُبَاشِرُ مَكْواهَا الفؤادُ فَيَنْضجُ
أحين تراءتكَ العيونُ جلاءَها ... وأقذاءَها أضحتْ مراثيكَ تُنْسجَ
بنفْسِى وإن فاتَ الفداءُ بكَ الرَّدَى ... محاسُنك الَّتى تمج فَتَنْهَجُ
لمن تستَجِدُّ الأرضُ بعدَك زينةً ... فتصبح فى أثوابِها تَتَبَرَّجُ
سلامٌ وريحانٌ ورَوْحٌ ورحمةٌ ... عليكَ وممدودٌ من الظل سَجْسَجُ
ولا بَرِحَ القاعُ الذى أنتَ جارُه ... يرف عليك الأقْحُوانُ المُفَلَّجُ

ومنها فى الطعن على العباسيين :

اجْنُوا بنى العباسِ من شنآنِكمْ ... وأَوكوا على ما فى العُباب وأشْرِجُوا
وَخلوا ولاةَ السوءِ منكم وغيهم ... فأحْرِ بِهم أن يَغْرَقُوا حيثُ لُجَّجُوا
نظارِ لكم أن يُرجِعَ الحقَّ راجِعٌ ... إلى أهلِهِ يوماً فتَشْجُوا كما شَجُوا
على حينَ لا عذْرَى لمعتذِريكم ... ولا لكمُ من حجةِ اللهِ مَخرَجُ
فلا تَلقَحُوا الآنَ الضغائنَ بينكم ... وبينَهمُ إنَّ اللواقِح تَنْتِجُ
غُرِرْتم لأنْ صدَّقْتُمُ أن حالةً ... تدُومُ لكم، والدهرُ لو نَان أخْرَجُ
لعَلَّ لهم فى مُنْطَوَى الغيبِ ثائراً ... سَيَسْمُو لكم والصبحُ فى الليلِ مُولجُ
بِمَجْرٍ تَضِيقُ الأرضُ مِنْ زَفراتِه ... له زجلٌ يَنْفِى الوحوشَ وهَزْمَجُ
إذا شِيمَ بالأبصار أبرقَ بيضُه ... بوارقَ لا يطيعهن المُجَمَجُ
يؤيده ركنان ثَبْتَانِ ، رجلة ... وخيلٌ كإرسالِ الجَرادِ وأوْشَجُ
عليها رجالٌ كاللُيوثِ بسالةً ... بأمثالِها يُثْنَى الأَبِىُّ فينْعَجُ

تَدانوا فما للنفع فيهم خصاصةٌ ... تنفسه عن خيلهم حينَ تَرْهجُ
فيدرك ثأرَ اللهِ أنصارُ دينهِ ... ولله أوسٌ آخرون وخَزْرجُ
ويَقضى إمامُ الحقِّ فيكم قضاءه ... تماماً وما كُل الحوامِلِ تَخْدَجُ
وتظْعَنُ خوف السَّبْيِ بعدَ إقامةٍ ... ظعائنُ لم يُضْرَبْ عليهنَّ هَوْدَجُ

ومنها :

أفِي الحقِّ أن يمسُوا خماصاً ، وأنتُمُ ... يَكادُ أخوكم بطنُهُ يتَبَعَّجُ
تمشون مختالين فى حُجُراتِكم ... ثقالَ الخُطَى أكفالُكم تتَرجْرَجُ
وليدُهم بادِى الضّوى ووليدُكم ... من الرِّيف رَيَّان العظامِ حَدَلَّجُ
تذودونهم عن حَوْضِهم بسيوفِكم ... ويشرَعُ فيه أرْتَبِيلُ وأبْلَجُ
فقد ألجمْتهم خِيفَةَ القتل عنكُمُ ... وبالقَوْمِ حاجٌ فى الحيازِم حُوَّج

ومنها :

أبى الله إلا أن يَطِيبوا وَتَخْبُثُوا ... وأن يَسْبِقُوا بالصالحاتِ وَيَفْلجُوا
وإن كنتمُ منهم وكان أبوكمُ ... أباهُم فإن الصَّفْو بالرَّنْق يُمْزَجّ
فلن تَعْدَموا ماحنَّتْ النيبُ فتْنَةً ... تحشى كما حشى الحريقُ المؤَرَّجُ
وقد بدأت لو تُزْجَرُون بريحها ... بوائجها من كل أوْبٍ تَبَوَّجُ

فأنت ترى فى هذه القصيدة الطويلة أن ابن الرومى عرض نفسه لانتقام بنى العباس ومن مالأهم من أمراء ووزراء وقواد ، لم يخش صاحبنا بطشهم ولا كيدهم وراح يعرض بآل العباس تعريضا شديدا ، وينذرهم عاقبة البغى والعدوان بقيام رجل من آل البيت على رأس جيش

قوى ، يستطيع أن يدمر الخلافة العباسية تدميرا تاما وأن يحكم الناس بالعدل والإحسان و يقضى على الفحشاء والمنكر والبغى . وذكر أن هذه الثورة قد ظهرت بوادرها وأصبح زوال العباسيين قاب قوسين أو أدنى.

وقد تشيع ابن الرومى فى غير هذه القصيدة ، مما لا داعى لذكره . وقد كان صاحبنا معتدلا فى تشيعه فلن تجد له كلمة نابية فى حق أحد من الصحابة .

(٧) المفجع البصرى

هو محمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالمفجّع البصرى . ويكنى أبا عبد الله . قال ابن النديم فى كتاب الفهرست[1] إنه « لقى ثعلبا وأخذ عنه وعن غيره . وكان شاعرا شيعيا وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها عليا عليه السلام » وقال صاحب يتيمة الدهر « والمفجع البصرى صاحب ابن دريد والقائم مقامه فى التأليف والإملاء . حدث ابن نصر قال، حدثنى بعض المشايخ البصريين قال : كان المفجع وشمال يتهاجيان وكان شمال سنيا والمفجع شيعيا » ثم أورد الثعالبى مقطوعة للمفجع فى هجاء شمال أعرضت عن ذكرها لقبح ما فيها . وقد هجاه أحد الشعراء بقوله .

إن المفجـــع ويله شر الأوائل والأواخر
ومن النـوادر أنه يملى على الناس النوادر

وقد لقب بالمفجع لبيت قاله .

شاعريته : قال المرزبانى «هو شاعر مكثر عالم أديب» وقال الثعالبى « وأما شعره فقليل كثير الحلاوة يكاد يقطر منه ماء الظرف » وقال عنه

(١) ص ١٢٣ .

كذلك إنه « شاعر البصرة وأديبها . وكان يجلس فى الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات » .

مدحه لآل البيت : سمع المفجع حديثا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى محفل من أصحابه : إن تنظروا إلى آدم فى علمه ، ونوح فى همه ، وإبراهيم فى خلقه ، وموسى فى مناجاته ، وعيسى فى سننه ، ومحمد فى هديه وحلمه ، فانظروا إلى هذا المقبل » فتطاول الناس فإذا هو على بن أبى طالب . فأورد المفجع ذلك فى قصيدة وضمنها مناقب كثيرة تعزى إلى على . قال :

أيُّها اللائِمِي لِحُبِّ عَلِيًّا ... قُمْ ذَمِيما إلى الجَحِيمِ خَزِيًّا
أبِخَيْرِ الأَنَامِ عَرَّضْتَ لا زِلْـ ... ـتَ مَذُودًا عن الهُدَى مَرْوِيًّا
أشْبَهَ الأنبياءِ كهلاً وزَوْلاً ... وفَطِيماً ورَاضِعًا وغَذِيًّا
كان فى علْمِه كآدمَ إذ عُلْـ ... ـلِمَ شَرْحَ الأسماءِ والمكْنِيًّا
وكنوحٍ نجى من الهَلَكِ من سُيـ ... ـيرَ فى الفلكِ إذ عَلاَ الجُودِيًّا
وجَفا فى رِضا الإلهِ أَباهُ ... واجْتَواهُ وعدَّه أَجْنَبِيًّا
كاعتزالِ الخليلِ آزرَ فى الـ ... ـلهِ وهجرانِه أباهُ مَلِيًّا
ودعا قومَه فآمَن لوطٌ ... أقربُ الناسِ منه رَحِمًا وَرِيًّا
وعلِيٌّ لما دَعاه أَخُوه ... سبقَ الحاضِرينَ والبَدَوِيًّا
وله من أَبِيهِ ذى الأَيْدِ إسما ... عيلَ شبهُ ما كان عَنَّى حَفِيًّا
إنَّه عاونَ الخليلَ على الكَعْـ ... ـبَةِ إذ شادَ ركنَها المبْنِيًّا

ولقد عاونَ الوصِيُّ حبيبَ الـ ـلَّهِ إذ يَغْسلانِ منها الصَّفِيَّا
أَمْ حَمَلَ النَّبيَّ كي يَقطعَ الأصـ ـنامَ من سطحِها المُثولَ الحُبيَّا
فحناهُ ثقلُ النُّبُوَّةِ حتى كادَ يَنآد تحتَـــه مَثْنِيَّا
فارتَقى منكبَ النبيِّ عليٌّ صِنْوُهُ ما أَجَلَّ ذا المرقِيَّا
فأَحاطَ اللثامَ عن ظاهِرِ الكعـ ـبةِ يَنْفِي الرَّجاسَ عنها نَفِيَّا
ولو أن الوصِيَّ حاول مَسَّ النـ ـجْمِ بالكَفِّ لم يَجِدْهُ قَصِيَّا
أفهلْ تَعْرِفُونَ غيرَ عليٍّ وابنِه استَرْحَلَ النبيّ مَطِيَّا

أورد ياقوت[1] هذه القصيدة وقال «وشعر المفجع كثير حسن».

* * *

وقد مدح بعض العلويين المعاصرين له بكثير من القصائد الجيدة نذكر منها قصيدته التي مدح بها أبا الحسن محمد بن عبدالوهاب الزيلبي وهي:

للزَّيْلَبِيِّ على جَلالةِ قدرِه خُلُقٌ كطعمِ الماءِ غيرِ مُزَنَّدِ
وشهامةٌ تُقْصِي الليوث إذا سَطا ونَدًى يُغَرِّقُ كلَّ بَحْرٍ مُزْبِدِ
يحتَـــلُّ بَيْتًا في ذُؤَابَةِ هاشمٍ طالَتْ دَعائِمُـهِ تَحَـلَّ الفرقدِ
حُرٌّ يَرُوحُ المُسْتَمِيحُ ويَغْتَدِي بمواهبٍ منه تَرُوحُ وتَغْتَدِي
فإذا تَخَيَّفَ ماله وعطاؤه في يومه بَهكَ البَقِيَّةَ في غَدِ
بِضِيَاءِ سُنَّتِهِ المكارِمُ تَهْتَدِي وبجود راحته السحائب تَقْتَدِي
مقـــدار ما بيني وما بين الغنى مقـــدارُ ما بيني وبين المِرْبَدِ

(١) معجم الأدباء جـ ١٧ / ٢٠٢ .

ولم يصل الينا من أخبار المُفَجَّع ما يفيد تعرضه للصحابة كما فعل غيره من شعراء الشيعة . والظاهر أنه لم يكن غاليا فى التشيع ولا مُحَمَّقا . وقد ضاع شعره حتى لانكاد نعرف منه شيئا سوى ماتقدم .

وفاته : وكانت وفاة المفجع البصرى فى سنة ٣٢٧ هـ

(٨) الشريف الرضى

هو أبو الحسن بن الطاهر أبى احمد الحسين ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب .

مولده : ولد الشريف الرضى عام ٣٦١ هـ وعاش خمسة واربعين عاما أدرك فى خلالها ثلاثة خلفاء من بنى العباس هم المطيع لله والطائع لله والقادر بالله وفى أيام هذا الخليفة توفى شاعرنا .

عصره : كان عصر الشريف الرضى عصر فتن واضطرابات ومعارك كثيرة تقع بين الأتراك والديلم فى بغداد كان يترتب عليها أن تسفك دماء ، وتخرب أحياء آهلة بالسكان ، ويتعرض الناس للهلاك ، وتنتشر اللصوصية ، وتصبح المحال التجارية عرضة للنهب والسلب ، والدور للحرق والتدمير ولم يكن للخليفة العباسى أى نفوذ خارج قصره . وقد أصبح الحكام الحقيقيون للعراق من آل بويه .

ثقافته وتهذيبه : بدأ الشريف الرضى ثقافته بأن قرأ القرآن على أبى اسحاق ابراهيم الطبرى وهو حدث . ثم أعاد حفظه بعد أن تخطى هذه السن . وكانت أمه تعنى بشؤون أبنائها عناية فائقة ، وتهتم بتثقيفهم وتهذيبهم منذ حداثتهم فقد روى ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة أنها

دخلت يوما المسجد إلى أبى عبدالله محمد بن النعمان الفقيه الإمامى وحولها جواريها وبين يديها ابناها الرضى والمرتضى فقام إليها وسلم فقالت : أيها الشيخ هذا ولداى قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه فتولى تعليمهما ، وذكر ابن جنى أن الشريف الرضى أحضر إلى ابن السيرافى النحوى المشهور فتلقى عنه علم النحو .

تصرفه وعمله : ولى الشريف الرضى نقابة الطالبيين وهى رياسة آل البيت العلوى والحكم فيهم أجمعين مستقلين عن طبقات الأمة الاسلامية. كان نقيباً فى بغداد أولا ثم جعله بنو بويه نقيبا للطالبيين فى بلاد فارس بأجمعها . وكان يضم إلى ذلك العمل النظر فى المظالم والحج بالناس .وهذه الأعمال كان يتولاها والده الطاهر ثم تنازل عنها لابنه الرضى ، لأن هذا كان يمنى نفسه بالخلافة ، وكان يفكر كثيراً فى سبيل تحقيق هذه الأمنية فخشى والده عليه شر العباسيين وبطشهم ، فأسند إليه هذه الأعمال ليشغله بها عن التفكير فى موضوع الخلافة ، وليسكن خاطره الثائر ويخفف من حدته وغليانه . قال فى ذلك :

ولِىَ النقابةَ خالُ أمِّ قبلُ ثم أَبِى وَجَدِّى
ووليتها طِفْلاً فهلْ بَجْدٌ يُعَدَّدُ مثلُ بَجْدِى

ولكنه برم بها فردها إلى والده الذى توفى عام ٤٠٠ هـ فاضطر صاحبنا إلى القيام بأعبائها وبقى كذلك حتى مات فى سنة ٤٠٦ هـ فتولاها من بعده أخوه المرتضى

وقد اتخذ الشريف المرتضى فى حياته داراً أسماها دار العلم ، وكان يجتمع بهذه الدار طلبة العلم الملازمون له .

وقد وضع كثيراً من الكتب والرسائل كما أنه بذل مجهودا كبيرا فى جمع ما حواه كتاب « نهج البلاغة »

مذهبه : كان الشريف الرضى يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية الذين يرون أن الخلافة فى أبناء الحسين .

آماله وأمانيه : كان الشريف الرضى يمنى نفسه بمنصب الخلافة ، فلم تهدأ له نفس ، ولم يسكن له خاطر ، ولم تصف له الحياة قط بل كان فى تفكير متواصل ، وهم وقلق وحزن شديد ، تارة يرى الأمل أمامه مقبلا وتارة يرى ظلمات اليأس مخيمة فى سماء تفكيره .

ومما شجع الشريف الرضى على الاسترسال فى آماله مارآه من ضعف الخلافة العباسية ضعفا تاما ، وما شاهده من انحلالها وذهاب نفوذها وسلطانها . ومما شجعه كذلك أن آل بويه كانوا من غلاة الشيعة الذين يدينون بالولاء لآل على . ويذكر المؤرخون أن الملوك البويهيين كانوا يحرضون النساء على الخروج وعمل المناحات والبكاء والعويل فى شوارع بغداد وطرقاتها فى مثل اليوم الذى قتل فيه الحسين من كل عام وكان الشريف الرضى يرى ذلك بعينى رأسه فيقوى أمله ويزداد تعلقه بالخلافة وجلالها . وكان له أنصار كثيرون منهم أبو اسحق الصابىء الذى كان يزعم أن طالع صاحبنا يدل على أنه سيرقى حتما إلى هذا المنصب الرفيع . وكانت تدور بينهما قصائد بهذا المعنى ، فمن ذلك قول إسحاق الصابىء وقد بعث بها إلى الشريف الرضى :

أبا حَسنٍ لى فى الرِّجَالِ فِراسة ... تَعَوَّدْتُ منها أن تَقولَ فتَصْدُقا
وقد خبرَتنى عنك أنك ماجدٌ ... سَترقى من العلياءِ أبعد مُرْتَقَى
فوَفَّيْتكَ التعظيمَ قبل أوانِه ... وقُلْتُ أطالَ اللهُ للسَّيِّد البَقا
وأضمرت منه لفظةً لم أَبُح بها ... إلى أن أرَى إطلاقَها لى مطلقَا
فإن عِشْت أو إن مِتُّ فاذكر بشارَتى ... وأوجب بها حقاً عَلَيْكَ مُحقَّقَا
وكنْ لىَ فى الأولاد والأهل حافظاً ... إذاما اطمأن الجنْبُ فى موضع البقَا

فأجابه الشريف الرضى بقوله :

سَنتَ لهذا الرُّمح غَرْبا مُذَلَّقا ... وأجْرَيتَ فى ذا الهُنْدُوانىِّ رَوْنقَا
وَسَوَّمْتَ ذا الطرفَ الجوادَ وإنما ... شَرَعْتَ له نهجاً فَخَبَّ وأعنقَا
لئن بَرِقَتْ منى مَخَايلُ عارضٍ ... لعيليك يقضى أن يجود ويغدقا
فليسَ بساقٍ قبلَ رَبعِك مرْبعا ... وليس براقٍ قبل جُودِك مُرْتَقى

* * *

ثم إن ملوك آل بويه كانوا يمنونه بها ويعدونه بقرب صيرورتها إليه فلا عجب أن سيطر عليه حلم الخلافة ، وملك عليه مشاعره وأصبح شبحها ماثلا أمامه فى القومة والقعدة ، والمنام واليقظة ، وفى كل مكان يذهب اليه قال :

أرى نفسى تَتوقُ إلى النُّجُوم ... سأحْمِلها على الخَطَرِ العظيمِ
ولى أمَلٌ كَصَدْرِ الرُّمْحِ ماضٍ ... سِوى أن اللياليَ من خُصومِى
ومالى هِمَّةٌ إلا المعـــالى ... وذَبُّ الضَّيْم عَن نَسَبٍ صميم

* * *

لماذا فشل ؟؟ : كان الشريف الرضى ينتظر من البويهيين أن يساعدوه فى الوصول إلى منصب الخلافة ، ولكن هؤلاء كانوا ينظرون إلى مصالحهم الشخصية . ومصلحتهم كانت تقضى بوجود خلافة اسمية لاحول لها ولا قوة ولا جاه ولا سلطان . وهذا كان متوفرا فى خلافة بنى العباس الذين كانوا يُوَلَّوْنَ بأمر البويهيين ولم يكن لهم من مظاهر الحكم غير ذكر أسمائهم فى الخطبة . وكان آل بويه يخشون قيام خلافة عربية قوية تقضى على حكمهم قضاء مبرما وتعيد مجد الامبراطورية الإسلامية كما كان أولا ، لذلك لم يجد صاحبنا منهم عونا ، وقضى حياته يضاجع الأحلام

يأسه وحزنه : لما رأى الشريف الرضى هذا الفشل العظيم الذى لحقه وأدرك أن أمنيته لا تتحقق أخذ منه اليأس كل مأخذ فطفق يبكى وينوح ويندب آماله الضائعة ، قال :

وعدْتَ يادهرُ شيئاً بتُّ أرقبه ... وما أرى منك إلا وَعدَ عُرْقُوب
وحاجةً أتقَاضَاها وتمْطُلنى ... كأنَّهَا حاجةٌ فى نفس يَعْقُوب
لأتعِبَنَّ على البيداءِ راحلةً ... والليلُ بالريح خفاقُ الجلابيب

لقد أخذ اليأس يسرى فى الرجل ، وشاعت روح الكآبة والحزن فى شعره قال :

ما مقَامى على الهوانِ وعندِى ... مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِىٌّ
وإبَاءٌ مُحَلِّقٌ بى عن الضَّيْمِ ... كما رَاغَ طائِرٌ وَحْشِىٌّ
أىُّ عذرٍ له إلى المجدِ إن ذلَّ فى غِمدِه المَشْرَفىُّ
أحملُ الضيمَ فى بلادِ الأعادِى ... وبمصرَ الخليفةُ العَلوِىُّ

من أبوه أبى ومولاه مولا ... ىَ إذا ضَامَنِى البعيدُ القَصِىُّ
لفَّ عِرْقِى بعرقهِ ســـيدُ النَّا ... سِ جميعًا محمـــدٌ وعلِىٌّ
إن ذُلِّىَ بذَلِك الجوِّ عزٌّ ... وَأوَامِى بذلِك النِّقْعِ رِىٌّ
قد يذِلُّ العزيزُ مالم يُشَمِّر ... لا نطِلاقٍ وقد يُضام الأَبِىُّ
إنَّ شَرًّا على إسراعُ عزْمِى ... فى طلابِ العُلا وَحظِّى بَطِىُّ
أَرْتَضِى بالأَذَى ولم يَقِف العزْ ... مُ قصورًا ولم تَعز المطِىُّ
كالذى يَخْبِطُ الظَّلامَ وقد أَوْ ... مَرَ من خَلْفِه النهارُ المُضِىُّ

قيل إن هـذه الأبيات وصلت إلى يد الخليفة القادر بالله فغضب غضباً شديداً ، وعقد مجلسا وأحضر فيه أبا الطاهر الموسوى والد الشريف الرضى وابنه المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز لهم أبيات الشريف السالفة الذكر . وتقدم حاجب الخليفة وقال للنقيب أبى أحمد (والد الرضى) قل لولدك : محمد (الشريف الرضى) أى هوان قد أقام عليه عندنا ؟ ؟ وأى ذل أصابه فى ملكنا ؟ ؟ وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟ ؟ أكان يصنع معه أكثر من صنيعنا ؟ ؟ ألم نوله النقابة ؟ ألم نوله المظالم ؟ ؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحج ؟ ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟ ؟ ما نظنه كان يكون — لو حصل عنده — إلا واحدا من أفتاء الطالبيين ؟ ؟ فقال له النقيب أبو أحمد « أما هذا الشعر فما لم نسمعه ولا رأيناه بخطه ، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحلة إياه وعزاه له » فقال القادر « إن كان كذلك فليكتب الآن بحضر بذلك يشهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب

أبو أحمد (والد الشريف) وابنه المرتضى ، وكان هذا المحضر بمثابة إقرار يتضمن قدحا فى نسب العلويين حكام مصر فى ذلك الحين . وحمل إلى الرضى ليوقعه ، حمله إليه أبوه ، فامتنع ولكنه أنكر الشعر واعترف كتابة بأنه ليس بشعره ولا يعرفه .

شاعريته : امتاز الشريف الرضى بشاعرية قوية جداً تتدفق تدفق المحيط . فإذا انطلق لسانه بالرثاء أتى بالقصائد الطويلة التى تزيد على المائة بيت ومعظمها مما يسيل العبرات ، وإذا مدح أطال وأتى بما يرقص ممدوحيه وإذا افتخر أبدع وأجاد ، وأتى فى أبيات معدودة بما لا يتيسر لغيره أن يأتى به فى قصيدة طويلة .

* * *

التشيع فى شعره : ذكر الشريف الرضى كثيراً من مناقب على وآل بيته فى قصائد كثيرة ودافع عن حق العلويين فى الحكم . ورثى الحسين بجملة قصائد رائعة إلى أبعد حدود الروعة . ومن تلك القصائد قوله :

هذى المنازلُ بالغَمِيم فنادها ... واسْكُبْ سَخِىَّ العين بعد جمادها

إن كان دينٌ للمعـــالم فاقضه ... أو مهجة عند الطلول ففادها

يا هَلْ تَبُلُّ من الغَلِيلِ إليهمُ ... إشْرافَةٌ لِلرَّكْبِ فَوْقَ نجادِها

نُؤْىٌ كُمُنْعَطَفِ الحَنِيَّةِ دُنَّه ... سُحْمُ الخدودِ لَهُنَّ إرثُ رَمَادِها

وَمَناطُ أطنابٍ ومَقْعَدُ فِتْيَةٍ ... تَحْبُو زناد الحىِّ غَيْرَ زِنَادِها

ومَجَرُّ أَرسَانِ الجيادِ لِغِلْمَةٍ ... سَجَفُوا البُيُوتَ بشَقْرِها وَوِرَادِها

ولقد حَبَسْتُ على الديارِ عصابةً ... مضمومةَ الأَيْدِى إلى أَكْبَادِها

حَسْرَى تُجَاوِبُ بالبُكاءِ عيونُها ... وتَعُطُّ[1] بالزَّفَراتِ فى[2] أَبْرَادِها

وَقفُوا بها حتى كأنَّ مَطِيَّهم ... كانَتْ قوائمُهنَّ من أَوْتَادِها

ثم انْثَنَتْ والدَّمْعُ ماء مَزَادِها ... ولواعجُ الأَشْجانِ من أَزْوادِها

من كل مُشتَمِلٍ حمايلَ رنةٍ ... قطرُ المدامِعِ من حُلِيِّ بِجَادِها

حيثُكَ بل حيثُ طُولكَ ديمَةٌ ... يَشْفِى سَقِيمَ الرَّبْعِ نَفْثُ عِهَادِها

وعدتْ عليكَ من الخمائِلِ يَمْنَةٌ ... تَستام نافِقَةً على رُوَّادِها

هل تَطْلُبون من النواظِرِ بعدَكم ... شيْئًا سِوى عَبراتِها وسُهادِها

لم يَبْقَ ذخرٌ للمُدافِعِ عنكُمُ ... كلاَّ ولا عَينٌ جَرى لِرُقَادِها

شَغَلَ الدُّمُوعَ عن الديار بُكاؤُنا ... لُبكاءِ فاطمةٍ على أَولادِها

لم يخلِفُوها فى الشَّهيدِ وقد رَأى ... دَمْعَ الفراتِ يُزَادُ عن أَوْرَادِها

أَتَرى دَرَتْ أن الحُسَيْنَ طريدةً ... لقَنَا بَنِى الطَّرَدَاءِ عندَ ولادِها

كانتْ مآتمُ بالعراقِ تَعُدُّها ... أُمَوِيَّةٌ بالشَّامِ من أَعْيَادِها

ما رَاقَبَتْ غَضَبَ النبىِّ وقد غَدا ... زرعُ النَّبِى مَظِنَّةً لِحَصَادِها

باعَتْ بصائرَ دينِها بِضَلالِها ... وشَرَتْ مَعاطِبَ غَيِّها بِرَشَادِها

جعلَت رسولَ الله من خصمائِها ... فلبِئْسَ ما ذَخَرتْ ليومِ مَعادِها

نسلُ النبى على صعابِ مَطِيِّها ... ودمُ النبى على رؤُوسِ صِعَادِها

والهَفْتَاهُ لِعُصْبَةٍ عَلَوِيَّةٍ ... تَبِعَتْ أُمَيَّةَ بَعْدَ عِزِّ قِيَادِها

(١) تشق . (٢) جمع برد .

جعلَت عُرانَ الذُّل فى آنافِها ... وعُلاطَ وَسْمِ الضَّيْمِ فى أَجْيَادِهَا

زَعمَتْ بأَنَّ الدينَ سوَّغَ قتْلَها ... أَوَليسَ هذَا الدينُ عَنْ أَجْدَادِها

طلبت تراثَ الجاهليةِ عندَها ... وشَفَت قديمَ الغِلِّ من أَحْقَادِها

واستأْثَرتْ بالأَمر عن غيَّابِها ... وقَضَت بما شَاءَت على شُهَادِها

اللهُ سابِقُكم إلى أَرْوَاحِهـــا ... وكسبْتُم الآثَامَ فى أَجْسادِها

إن قُوِّضَتْ تلكَ القِبابُ فإنَّما ... خَرَّتْ عمادُ الدينِ قبلَ عِمادِها

إن الخلافَة أصبحتْ مَزْوِيَّةً ... عن شَعْبِها بِبَيَاضِها وسَوَادِها

طَمَستْ منابرَها علوجُ أُمَيَّةٍ ... تَنْزو ذئابُهم على أَعْوَادِها

هى صفوةُ اللهِ التى أَوْحى بها ... وقَضَى أوامرَه إلى أَمْجادِها

أَخَذَتْ بأَطرافِ الفَخَارِ فعاذِرٌ ... أن يُصبِحَ الثَّقَلانِ من حُسَّادِها

الزُّهْد والأحلامُ فى فُتَّاكِها ... والفَنْكُ لولا الله فى زُهَّادِها

عَصَبٌ يُقَمِّطُ بالنِّجادِ وليدُهَا ... ومهودُ صِبْيَتِها ظهورُ جِيَادِها

تَرْوى مناقِبَ فضْلِها أعداؤُها ... أَبدًا وتَسْنِدُه إلى أَضْـــدَادِها

يا غـــيرةَ اللهِ اغْضَبِي لِنَبيه ... وتزَحْزَحِى بالبيض عن أَعْمادِها

من عُصْبَةٍ ضَاعت دماءُ محمدٍ ... وبَنِيه بين يَزيدِها وزِيَادِها

صَفَدات مالِ اللهِ ملءُ أَكُفِّهَا ... وأَكُفُّ آلِ اللهِ فى أَصْفَادِها

ضَرَبُوا بِسيفِ محمـــدٍ أبناءَه ... ضربَ الغرائبِ عُدْنَ بعد ذِيادِها

قِفْ بى ولَوْ لوْثَ الأَزارِ فإنَّما ... هى مُهْجَةٌ عَلَقَ الجَوَى بفؤادِها

بالطَّفِّ حيثُ غَدَا مُراقُ دمائِها ... ومناخُ أَيْنُقِها لِيَوْم جِلادِها

القَفْر من أَرْواقِها والطيرُ من ... طرَّاقِها والوَحْشُ من عُوَّادِها
تَجرِى لها حَبَبُ الدُّمُوعِ وإنَّما ... حبُّ القُلُوبِ يكنّ من أَمْدادِها
يا يَوْمَ عاشُورَاء كم لكَ لوعةٌ ... تَترَقّصُ الأَحْشَاء من إيقَادِها
ما عُدْتَ إلا عادَ قَلْبِي غُلَّةً ... حرَّى ولو بَالَغْتُ فى إبرَادِها
ياجَدْ لا زَالتْ كَتائِبُ حسرَةٍ ... تَغْشَى الضميرَ بِكرِّها وطِرَادِها
أبدًا عليك وأدمعٌ مسفوحةٌ ... إن لم يُراوِحُها البكاءُ يُغادِها
هذا الثَّنَاءُ وما بَلَغْتُ وإنَّما ... هى حَلْبَةٌ خَلَعوا عَلَيْكَ جوادَها
أَ أقولُ جادَكم الربيعُ وأَنْتُم ... فى كلِّ منزلةٍ ربيـــعُ بلادِها
أمْ أَسْتَزِيدَ لكم علاً بِمَنائِحِي ... أينَ الجِبَالُ من الرُّبَى وَوِهَادِها
كيفَ الثَّنَاءُ على النُّجومِ إذا سَمَتْ ... فوقَ العُيُونِ إلى مَدَى أَبْعَادِها
أَغْنَى طُلُوعُ الشَّمْسِ عن أَوْصَافِها ... بِحَلاَلِها وضِيَائِهـــا وبِعَادِها

* * *

وفاته : كان للحقيقة المرة التى اصطدم بها الشريف الرضى ولخيبته وفشله فيما كان يسعى إليه أثر سىء فى نفسه وفى صحته ، فأخذ جسمه يذبل شيئاً فشيئاً ، وشرعت قواه فى التدهور والانحلال يوما بعد يوم . وسرعان ما اختطفته يد المنون وهو فى شرخ الصبا . لقد مات حزينا ساخطاً دهره ، ناقماً على الدنيا ومافيها ومن فيها . أدركته المنية فى يوم الأحد سادس المحرم سنة ٤٠٦ هـ ببغداد فجزع أخوه المرتضى جزعا شديداً حتى أنه لم يشترك فى الصلاة عليه ولم يستطع حضور دفنه . وصلى عليه

الوزير فخر الملك وكثير من العظماء والنبلاء ودفن بداره بالكرخ ثم نقل إلى مشهد الحسين بكربلا حيث دفن بجوار قبر أبيه . وقد رثاه أخو المرتضى بقوله :

يا للرجالِ لفَجْعَةٍ جَذَمَتْ يَدى ... وَوَدِدْتُ لو ذَهَبَتْ عَلَى براسى
ما زِلتُ أصدُر وردَها حتى أتَتْ ... فَسَوْتُهَا فى بعض ماأنا حاسى
ومَطَلتها زَمَناً فلَمَا صَمَّمَتْ ... لم يُثنها مَطْلِى وَطُولُ مِكاسى
للهِ عُمْرُكَ من قصيرٍ طاهرٍ ... ولَرُبَّ عُمرٍ طَالَ بالأَرْجَاسِ

ورثاه تلميذه مهيار الديلمى بأكثر من قصيدة ومن ذلك قوله :

بكر النعىُ فقال : أرْدى خيرُها ... إن كان يَصْدُق فالرّضى هو الرَّدِى
عادت أراكة هاشِمٍ من بَعْدِه ... خَوَراً لفأس الحاطِبِ المتوقدِ
فُجِعَتْ بمُعْجِزِ آيةٍ مَشْهُودَةٍ ... ولَرُبَّ آياتٍ لهَا لم تُشْهَدِ
كانت إذا هى فى الإمَامةِ نوزِعَتْ ... ثم ادَّعَتْ بك حَقَّهَا لم تُجْحَدِ
تَبعَتْكَ عاقِدَةً عليكَ أمورَها ... وعُرَى تميمِك بعدُ لَمَّا تُعْقَدِ
ورآك طفلاً شيبُها وكهولُها ... فتَزَحْزَحُوا لك عن مكان السَّيِّدِ
أنفقتَ عمرَك ضائعاً فى حِفْظِهَا ... وَعَقَقْتَ عيشَك فى صَلاحِ المُفسِدِ
كالنَّارِ للسارى الهدايةُ والقِرى ... من ضَوئِها ودُخَانُها المُوقِدِ

(٩) مهيار الديلمى

هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر المشهور . قال ابن خلكان ، كان مجوسيا فأسلم ، ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضى أبى الحسين محمد الموسوى وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر ،

علاقته بالشريف الرضى : كان مهيار يحضر دروس العلم التى كان يعقدها الشريف الرضى لكثير من الشبان فتيسر له أن يلم بقسط وافر من الأدب نظمه ونثره . وقد نشأت بين الأستاذ وتلميذه علاقة ود أخذت تقوى يوما بعد يوم ، حتى أن مهيار كان يعلق كثيراً من الآمال على أستاذه . ولما مات الشريف الرضى رثاه مهيار طويلا .

إسلامه وتشيعه : وكان من أثر العلاقات القوية بين الشريف الرضى ومهيار أن استطاع الأستاذ أن يحبب إلى تلميذه الدين الإسلامى ، فكان إسلام مهيار على يد أستاذه .

أما تشيعه فقد بدا منه قبل أن يتخذ الإسلام دينا . وقد مدح الطالبيين ورثى عليا والحسين حينما كان على دين المجوسية ، فمن ذلك قوله

نَقَضْتُمْ عُهودَه فى أهْلِه وحُلْتم عن سَنَنِ المراسِمِ
وقد شَهِدتم مقْتَلَ ابن عمِّه خيرِ مُصلٍّ بَعدَه وصائِمِ
وما استَحَلَّ باغِياً أمَامكم يزيدُ بالطَّفِّ من ابن فاطِمِ

ولما أسلم غلا فى تشيعه غلوّاً كبيرا وأفرط فى سب الخلفاء الأول

إفراطاً ألحقه بالسيد الحميرى وقد وصل إلينا شعر مهيار كاملا فرأينا ما جرى على لسانه من طعن ولعن . ومن ذلك قوله :

هذِى قضايا رسولِ اللهِ مُهمَلةٌ ... غدراً وشملُ رسولِ اللهِ منصَدِعُ
والناسُ للعهدِ مالاقُوا وماقَرَبوا ... وللخيانةِ ما غَابُوا وما شَسَعُوا
وآله وهُمُ آلُ الإلهِ وهمْ ... رعاةُ ذا الدينِ ضيمُوا بعده ورُعُوا
ميثاقه فيهمُ مُلقًى وأُمَّتُه ... مع من بَغاهُم وعَادَاهُم لهُ شِيَعُ
تُضَاع بَيْعَتُه يومَ الغديرِ لهم ... بعد الرِّضا وتُحاط الرُّومُ والبِيَعُ
مُقْسِمينَ بأيمانٍ هم جَـذَبُوا ... بيُوعها وبأسيافٍ هُمُ طَبَعُوا
مابينَ ناشرِ حبلٍ أمس أبرَمَه ... تُعد مسنونةً من بعدِه البدعُ
وبين مُقْتنِصٍ بالمكرِ يخدَعُه ... عن آجلٍ عاجلٌ حُلْوٌ فينخدِعُ
وقائل لى علىٌّ كانَ وارثَهُ ... بالنصِّ منه فهل أعطَوْهُ أم مَنَعُوا
فقلتُ كانت هناتٌ لستُ أذكرُهَا ... يجزى بها اللهُ أقواماً بما صَنَعُوا
أبلغْ رجالاً إذا سَمَّيتَهُمْ عُرِفُوا ... لهم وجوهٌ من الشحناء تُمتَقَعُ
توافقوا وقناة الدينِ مائلةٌ ... فحينَ قامتْ تلاحَوْا فيه واقتَرعُوا
أطاعَ أولهُمْ فى الغدر ثانيهم ... وجاء ثالثُهم يقفُو ويَتبعُ
قِفُوا على نظرٍ فى الحقِّ نَفْرِضُه ... والعقلُ يفضلُ والمحجوجُ ينقطِعُ
بأىِّ حكم بَنُوه يتبعُونَـكم ... وفخرُكم أنـكم صَحبٌ له تَبَعُ
وكيفَ ضاقَتْ على الأهلين قُربَتُهُ ... وللأجانبِ من جَنْبَيْهِ مُضْطَجعُ
وفيمَ صيَّرتُمُ الإجماعَ حُجَّتَـكم ... والنَّاسُ ماائتفقُوا طوعاً ولا اجْتَمَعوا

أمرُ عليٍّ بعيدٌ من مشورَتِهِ مستكرهٌ فيـــه والعباسُ يمتنع
وتدَّعيهِ قريشٌ بالقرابة والـ أنصارُ لا رُفْعٌ فيـــه ولا وُضُعُ
فأيُّ خُلْفٍ كخُلْفٍ كان بينكمُ لولا تُلَفَّقُ أخبارٌ وتصْطَنَعُ

ومنها :

إنكارُهم يا أمير المؤمنين لهـــا بعد اعترافِهمُ عارٌ به ادَّرَعُوا
ونكثهم بكَ مَيْلاً عن وَصِيَّتِهم شَرْعٌ لعمركَ ثانٍ بعدَه شَرَعُوا
تركت أمرا ولو طالَبْتَهُ لدَرت مَعاطسٌ راغمته كيف تجتدِعُ
ليُشْرِقَنَّ بحـــلو اليوم مرُّ غدٍ إذا حصدتَ لهم فى الحشر مازَرَعُوا

فمهيـار فى هذه القصيدة قد تعصب لعلى وذهب إلى أبعد حدود التعصب فطعن فى الإجماع وأنكر صحته . وذكر أن النبي عهد إلى على بالأمر يوم غديرخم وقد مر بنا ذكر ذلك وأن الصحابة غدروا وعصوا الرسول واغتصبوا حق على فأطاع أبوبكر فى الغدر عمر ، ثم جاء عثمان يمشى على آثارهم . وهؤلاء كما يقول مهيار سيحملون وزرهم يوم القيامة وسيحاسبون على ما أتوا حسابا عسيرا . قيل له : يا مهيار ، انتقلت بإسلامك فى النار من زاوية إلى زاوية ، قال : وكيف ذاك؟ قيل : لأنك كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة .

* * *

وقد رثى مهيار الحسين بجملة قصائد ومدح عليا وسرد كثيراً من مناقبه فى شعر بديع ، ودافع عن حقوقه فى الخلافة دفاعا حارا مؤثرا ومثال ذلك قوله فى مدح آل البيت .

لئن نامَ دهرى دون المنى وأصبحَ عن نَيْلِها مُقعدِى
ولم أكُ أحمـــد أفعالَه فلى أسوة ببنى أحمـــدِ
بخيرِ الورى وبنى خيرِهم إذا ولدُ الخير لم يولدِ
وأكرم حى على الأرض قام وميت توسد فى ملحدِ
وبيت تقاصر عنه البيوت وطال عليا على الفرقدِ
تحوم الملائك من حوله ويصبح للوحى دار الندِى
ألا سَل قريشا ولم مِنهمُ من استَوْجَبَ اللومَ أو فنّدِ
وقل : مالكم بعد طُولِ الضَّلاَ لِ لم تَشْكُرُوا نِعمةَ المُرْشدِ
أتاكُمُ على فترةٍ فاستقامَ بكم جائِرينَ عن المَقْصدِ
وولّى حميـــدا إلى ربّه ومن سنَّ ماسَنَّهُ يُحمدِ
وقد جعلَ الأمرَ من بعدِه لِحَيْدَرَ بالخـــبرِ المُسْنَدِ
وسماه مولًى بإقرارِ مَنْ لو اتَّبَعَ الحقَّ لم يَجْحَدِ
فلُمتم بها حَسَدَ الفضلِ عنه ومن يَك خيرَ الورَى يُحسَدِ
وقلتم بذاك قضى الاجتماعُ ألا إنَّما الحقُّ لِلْمفرَدِ
يَعزُّ على هاشِمٍ والنبىِّ تلاعُبُ تيمٍ بها أوعدِى
وإرثُ علىٍّ لأولادِه إذَا آيةُ الإرثِ لم تُفسَدِ
فمن قاعدٍ منهمُ خائفٍ ومن ثائرٍ قام لم يُسْعَدِ
تسلَّطُ بغْيا أكفُّ النِّفَا قِ منهم على سيِّدٍ سيِّدِ

وما صُرِفُوا عن مُقَامِ الصلاة ولا عنفوا فى بنى[1] المسجد
أبوهُم وأُمهم من علِمْـ ـتَ فانقصْ مفاخرَهم أَو زِدِ
أَرَى من بعدِ يوم الحسين عليلاً له الموتُ بالمرصد
وما الشّرك لله من قبلِه إذا أنت قِست بمُسْتَبْعَدِ
وما آلُ حربٍ جَنَوا إنّما أعادوا الضَّلالَ على من بدى
سيعلمُ من فاطمٌ خصمُه بأىِّ نكالٍ غدا يرتدى
ومن ساءَ أحمدَ ياسبْطَه فباء بِقَتْلِك ماذَا يدى ؟
فِداؤُك نفسى ومَن لى بذا ك لو أنّ مولًى بعبدٍ فُدِى
أنا العبدُ والاكمُ عقده إذا القلبُ بالقلب لم يُعقد
وفيكم وِدادى ودِينى معاً وإنْ كانَ فى فارسٍ مولِدى
خصمت ضلالى بكم فاهتديتُ ولولاكم لم أكُنْ أهْتدِى

وهكذا ترى أن مهيار يضمن كل ماقاله فى آل البيت كثيراً من المطاعن والشتائم فى بعض الصحابة ولن تجد له قصيدة واحدة مما نظمه فى هذا الباب خلت من هجوم عنيف على الشيخين .

وفاته : توفى مهيار فى سنة ٤٢٨ هـ

---

(١) جمع بنية

(١٠) ابن هانىء الأندلسى

هو محمد بن هانىء بن محمد بن سعدون الأندلسى . يكنى أبا القاسم أو أبا الحسن . وقيل له ابن هانىء الأندلسى تمييزا له عن ابن هانىء الحكمى الشهير بأبى نواس .

مولده : ولد باشبيلية فى سنة ٣٢٠ هـ

شاعريته : قال ابن خلكان : « هو أشعر شعراء المغرب على الإطلاق من المتقدمين والمتأخرين ولأجل ذلك يقال له متنبىء الغرب »

وقال الفتح بن خاقان : « هو علق خطير ، وروض أدب مطير ، غاص فى طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون ، وبهرج بافتنانه فيه كل الفنون ، وله نظم تمنى الثريا أن تتوج به وتقلد ، ويود البدر أن يكتب فيه ما اخترع وولد . »

تشيعه : رحل ابن هانىء من الاندلس إلى شمال إفريقيا ومدح المعز وأصبح من خواصه المربين إليه . وقد ارتفعت مكانته فى عين الخليفة الفاطمى وعلت منزلته فأجله واحترمه ومنحه جزيل العطاء

ويعتبر شعر ابن هانىء سجلا لمعتقدات الفاطميين وآرائهم ومذاهبهم ومثال ذلك قوله :

أنت الورَى فاعمر حَياةَ الورَى ... بِاسمٍ من الدَّعْوَةِ مُشْتَقّ

فالشيعة يعتقدون أن الإمام يقوم مقام النبى فى دعوة الناس إلى الحق . والذى يقبل الدعوة يسمى المستجيب .

وقوله :

سَقَيْتَ فلا لُبَّ اللبيبِ مُعَطَّشٌ لَديك ولا كافُورَةُ العَهْدِ تَسْنَخُ

والمستجيب لا يدخل فى الدعوة إلا إذا أخذ عليه العهد والميثاق .

وقوله :

قد كان يُنْذِرُ بالوعيدِ لطولِ ما أَصْغَى إليْكَ ويعلَمُ التَّأْوِيلاَ

فالشيعة يعتقدون بأن آيات القرآن تحتوى على معانى خفية لا يدرك كنهها إلا الإمام الذى تلقى علمها عمن سبقه من الأئمة . وقد كرر ابن هانى هذا الاعتقاد فى موضع آخر فقال .

أهْلُ النُّبُوَّةِ والرِّسَالَةِ والهدَى فى البَيِّنَاتِ وسَـــادَةٌ أطهارُ

والوحيِ والتأويلِ والتحليلِ والتـ ـحريمِ لا خُلْفٌ ولا إنْكارُ

وقال :

ماذَا تُريدُ من الكِتابِ نواصِبٌ وله ظُهورٌ دُونَها وبُطُون

فالشيعة يرون أن لكل ظاهر باطنا خفى عن الناس لأن عقولهم لا تستطيع إدراك علم الباطن الذى هو سر الله المصون الذى يجب أن يظل مكتوما عمن لا يستحقه . قال .

إذا كانت الألباب يقصر شأوها فظلم لسر الله إن لم يُكتَّمِ

والشيعة يعتقدون بالوصِىّ الذى وصاه النبى بالقيام بالأمر من بعده وفى ذلك يقول ابن هانىء .

تؤم وصيَّ الأوصياء ودونه صدور القنا والمرهفات البواتك

ووجود الإمام ضرورى فى نظر الشيعة من ثلاثة أوجه أولها أن

الله لما أرسل رسوله إلى الناس ليهديهم إلى صراطه المستقيم ، لزم أن يكون فى كل زمان من يقوم بوظيفة النبى من هداية الخلق ونشر الأمن والعدل . وثانيها أن لغات الناس متفرقة فلا يفهم بعضهم لغة البعض ، فوجود الإمام ضرورى ليفهم الناس شؤون دينهم كلٌّ بلسانه ولغته . وثالثها أن الله كما خلق الجبال وجعلها أوتادا تمسك الأرض أن تميد بمن عليها ، كذلك جعل الأئمة أوتادا للدين حتى لا يزول . وفى هذا ترى ابن هانىء يقول .

إذا كان أمنٌ يَشملُ الأرضَ كلَّها ... فلا بُدَّ فيها من دليـــلٍ مُقَدَّمِ
إذا كان تفريقُ اللُّغاتِ لِعلَّةٍ ... فلا بُد فيها من وَسِيطٍ مُتَرْجِمِ
وآيةُ هذا أنَّ حَى اللهُ أرْضَه ... ولـكنها لم تَرْسُ من غير مَعْلَمِ

ويقول فى قصيدة أخرى .

لولاكَ لم يكنِ التَّفكُّرُ واعِظًا ... والعقلُ رشدا والقياسُ دليلاً
لو لم تكنْ سَكنَ البلادِ تَضَعْضَعَتْ ... وتَزَايَلَتْ أركانُهـــا تَزْيِيلاَ

ومن مبادىء الشيعة أن الإمام لا يقوم إلا بالنص ممن قبله كما لا يجوز قيام النبى إلا بإذن من الله . قال ابن هانىء .

وما ذاك أخذًا بالفِراسةِ وحدَها ... ولا أنَّه فِيها من الظَّنِّ مُضْطَرُ
ولـكن موجودا من الأثَرِ الذى ... تَلَقَّاهُ عن حبرٍ ضنينٍ به حبرُ

ويرى الشيعة أن الإمام هو سبب وجود الدنيا بجميع ما فيها وهو علتها ولولاه لما كانت أرض ولا سماء ولا شمس ولا قمر . قال ابن هانىء .

هو عِلَّةُ الدنيا ومن خَلِقَتْ له ... ولِعِـــلَّةٍ ما كانت الأَشْيَاءُ

وقال :

هذا ضَميرُ النَّشْأَةِ الأولى التى بدأَ الإلهُ وغَيبُها المكْنُونُ
من أجلِ هذا قُدِّر المَقْدُورُ فى أُمِّ الكِتابِ وكُوِّنَ التكوينُ

والإمام عند الشيعة من أكمل مخلوقات العالم جسدا وروحا وهو جامع لكل الفضائل والخيرات وجسده برىء من كل عيب وروحه سالم من كل نقصان . قال ابن هانىء .

فرغَ الإلهُ له بِكلِّ فَضيلةٍ أيامَ آيات الكتابِ تُفَصَّلُ

وقال :

وروح هُدًى فى جِسم نورٍ يَمُدُّه شُعَاعٌ من الأَعْلى الذى لم يُجَسَّم

والإمام عندهم متصف بكل صفة يتصف بها النبي من كونه أمين الله وهادى الخلق ووارث الأرض وشفيع الناس . فالإمام متصف بكل هذه الصفات . قال ابن هانىء .

هذا أمينُ اللهِ بين عبادِه وبلاده إن عُدَّت الأُمَناء
هو الوارِث الأرضَ عن أبوين أبٌ مصطفى وأبٌ مُرْتَضى

وقال :

لله من سَببٍ باللهِ متصل وظِلٍّ عدلٍ على الآفاق ممدود

وقال :

هذا الشفيعُ لأُمةٍ يأْتِي بها وجُدُودُه لجدودها شُفَعَاء

وهو معصوم مثل النبي لا يصدر منه خطأ ولا تبدو منه زلة لأنه ملهم من الله بأعظم درجات الإلهام ومؤيد منه بأكبر حدود التأييد

وهو مؤتمن على هداية الخلق بعد الرسول . قال صاحبنا .

من كان سيما القُدْسِ فوقَ جَبينِه فأَنا الضَّمِينُ بأَنَّهُ لا يَجْهَلُ

وقال :

مُؤَيَّدٌ باختيـــارِ اللهِ يَصْحَبُه ولَيْسَ فيما أَراهُ اللهُ من خَلَلِ

ومعرفة الإمام عند الشيعة واجبة على الجميع لحديث يروونه عن النبي وهو « من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية » وكذلك ولايته واجبة عليهم . فلا نجاة لأحد من الناس إلا إذا عرف الإمام وخضع لحكمه خضوعا تاما ومنحه ولاءه وإخلاصه . وقد أتى ابن هانىء بهذا فى شعره حيث يقول .

لِيَعْرِفْكَ من أَنْتَ مَنْجَاتُه إذا ما اتقى اللهَ حقَّ التُّقَى

* * *

فرضانِ من صومٍ وشُكر خليفةٍ هذا بهذا عندنَا مَقْرُونُ

* * *

لو لَمْ تكنْ سَبَبَ النجاةِ لأَهْلها لم يُغْنِ إيمانُ العبادِ فَتيلا

* * *

لئن كان لى عن وُدِّكم مُتَأَخرٌ فمالِىَ فى التوحيد من مُتَقَدَّمِ

* * *

والإمام كما يرون مظهر نور الله الذى ينتقل من إمام إلى إمام فالله يتجلى بنوره فى شخص الإمام . فإذا علمنا هذا استطعنا أن نفهم بسهولة قول ابن هانىء

وما كُنْهُ هذا النور نورُ جَبينِهِ ولكنَّ نورَ اللهِ فيه مُشَارِكُ

وبدا تَلَقَّى آدمُ من ربِّه عفواً وفَاء ليونُسَ اليَقْطِينُ

* * *

مِنْ شُعلةِ القَبَسِ التى عرضت على موسى وقد حارتْ به الظَّلْمَاء

* * *

ولقد بَراكَ فكُنْتَ موثِقَهُ الذى أخذ الكتابَ وعهدَه المسؤُولا

* * *

فالشيعة يقولون إن محمداً والأئمة من ذريته أفضل جميع البشر وإن نورهم خلق قبل أن يوجد العالم وحيث إن نور الله أزلى ينتقل من إمام إلى إمام حتى اتصل بالمعز ، فنور المعز هو النور الذى توسل به هؤلاء الأنبياء فاستجاب الله به دعاءهم .

* * *

وهكذا سار ابن هانىء فى شعره على هذه الوتيرة ، فلا عجب أن كان لشعره طابع خاص ميزه عن غيره من شعراء الشيعة . فهو لم يرث الحسين ولم يذكر عليا ولا مناقبه ، ولم يقصر شعره على هجاء الأمويين والعباسيين ، ولم يتعرض للشيخين بطعن ولا سب ، إنما وقف شعره على نشر الدعوة للخلافة الفاطمية وبث مبادىء العبيديين ، وقد كان هذا من الأمور الطبعية لأن هذه الدولة الجديدة الناشئة أضحت فى حاجة إلى تثبيت دعائمها وتقوية مركزها ، بعد أن أصبح الأمر بيد خلفائها . وليس أقوى من الشعراء فى هذا المضمار ولا أقدر منهم . وقد وجد المعز فى ابن هانىء خير نصير ومعين على نشر الدعوة الفاطمية وقد قيل إنه حزن حزنا شديدا لما سمع بوفاته .

مدحه للمعز

وقد مدح ابن هانىء الأندلسى المعز لدين الله الفاطمى بقصائد كثيرة أظهر فيها قوة ومتانة ، ووفق فيها إلى أقصى درجات التوفيق . ومثال ذلك قوله من قصيدة :

وطفِقْت أسألُ عن أَغرَّ مُحَجَّل ... فإذَا الأنامُ جِبلَّةٌ دَهماء

حتى دُفعتُ إلى المعزِّ خليفةً ... فعلمتُ أن المطلبَ الخلفاء

جودٌ كأن أليمَ فيه نفاثةٌ ... وكأنَّما الدُّنيا عليه غُثَاء

ملِكٌ إذا نَطَقتْ عُلاه بمدحِه ... خِرسَ الوفودُ وأفحم الخطباء

هو عِلةُ الدنيا ومن خلِقت له ... ولعلةٍ ماكانت الأشياء

من صفو ماء الوحْيِ وهو مُجَاجَةٌ ... من حوضه الينبوعُ وهو شفاء

من أيكةِ الفردَوْسِ حيث تَفَتَّقَتْ ... ثمراتُها وتَفيَّأَ الأَفياء

من شُعلةِ القبسِ التى عُرِضت على ... موسى وقد حارتْ به الظلْماء

من معدِن التقديس وهو سُلالةٌ ... من جوهرِ الملكوتِ وهو ضياء

من حيثُ يُقتبسُ النهارُ لمبصرٍ ... وتُشَقُّ عن مكنونِها الأنباء

فَتيقَّظوا من غَفلةٍ وتَنَبَّهوا ... ما بالصباحِ عن العيونِ خفاء

ليست سماءُ اللهِ ماترأوْنَها ... لكن أرضاً تحتويه سَماء

أما كواكِبُها له فخواضِعٌ ... تُخْفِي السجودَ وَيظْهرُ الايماء

والشمس ترجعُ عن سَناهُ جفونها ... فكأنها مَطروفَةٌ مَرْهاء

هذا الشفيعُ لأُمَّةٍ يأْتى بها ... وجدودُه لجدودِها شُفَعَاءُ

هذا أمينُ الله بين عبادِهِ ... وبلادِه إن عُدَّتِ الأمناءُ

هذا الذى عَطفتْ عليهِ مكةٌ ... وشعابُها والركنُ والبَطحاءُ

هذا الأغرُّ الأزهرُ المتألقُ المُ ... تَدَفِّقُ المتبلِّجُ الوَضَّاءُ

فعليهِ من سيما النبىِّ دلالةٌ ... وعليهِ من نورِ الإلهِ بهاءُ

ورثَ المقيمَ بيَثْرِبٍ فالمنبرُ الأَ ... عْلَى له والتُّرْعةُ العَلياءُ

والخطبةُ الزهراءُ فيها الحكمةُ ال ... غرَّاءُ فيها الحجَّةُ البَيْضَاءُ

للناسِ إجماعٌ على تَفْضِيلِهِ ... حتى اسْتَوى اللُّؤماءُ والكرماءُ

واللكنُ والفُصَحاءُ والبُعَدَاءُ وال ... قُرَبَاءُ والخُصَمَاءُ والشُّهَدَاءُ

ضَرَّابُ هَامِ الرومِ منتقماً وفى ... أعناقِهم من جودِه أعباءُ

تَجرِى أَيادِيهِ التى أولاهُمُ ... فكأنَّها بينَ الدماءِ دِماءُ

لولا انبعاثُ السيفِ وهو مُسَلَّطٌ ... فى قَتْلِهمُ قَتَلَتْهمُ الأَنْبَاءُ

كانت ملوكُ الأعجمينَ أَعِزَّةً ... فأَذَلَّها ذُو العِزَّةِ الأَبَاءُ

لن تَصغرَ العظماءُ فى سلطانِهم ... إلا إذَا دَلَفَتْ لها العُظَمَاءُ

جهلَ البطارقُ أنه الملكُ الذى ... أوصى البنينَ بِسِلْمِهِ الآباءُ

حتى رأى جُهالُهم من عزمه ... غِبَّ الذى شَهدتْ به العُلَمَاءُ

فتقاصروا من بعد ما حكم الرَّدى ... ومضى الوعيدُ وشُبِّت الهَيْجَاءُ

والسيلُ ليسَ يَحيدُ عن مُسْتَنِّهِ ... والسهمُ لا يُدْلِى به غُلوَاءُ

لم يُشركُوا فى أنه خيرُ الورَى ... ولذِى البريةِ عندهُمْ شُرَكَاءُ

وإذا أقرَّ المشركون بفضله ... قسرًا فما أدراك ما الحنفاء

فى الله يسرى جوده وجنوده ... وعديده والعزم والآراء

أوَما ترى دولَ الملوكِ تطيعه ... فكأنها خولٌ له وإماء

نزلتْ ملائكةُ السماء بنصره ... وأطاعه الإصباحُ والإمساء

والفلكُ والفلكُ المدار وسعدُه ... والغزو فى الدأماءِ والدأماء

والدهرُ والأيامُ فى تصريفها ... والناسُ والخضراء والغبراء

أين المفرُّ ولا مفرَّ لها رب ... ولك الأسيطان الثرى والماء

ولك الجوارى المنشآتُ مواخرًا ... تجرى بأمرك والرياحُ رخاء

والحاملاتُ وكلها محمولةٌ ... والناجياتُ وكلها عذراء

والأعوجيَّاتُ التى إن سُوبقتْ ... سبقتْ وجرْىُ المذكياتِ علاء

الطائراتُ السابحاتُ السابقا ... تُ الناجياتُ إذا استُحثَّ نجاء

فالبأسُ فى حمسِ الوغى لكُماتها ... والكبرياء لهن والخيلاء

لا يُصدِرون نحورَها يوم الوغى ... إلاَّ كما صبغَ الخدودَ حياء

شُمُّ العوالى والأنوفِ تبسَّموا ... تحتَ القنوسِ فأظلموا وأضاءوا

لبسوا الحديدَ على الحديدِ مظاهرًا ... حتى اليلامقُ والدُّروعُ سواء

وتقنَّعوا الفولاذَ حتى المقلةُ النجـ ... ـلاء فيها المقلةُ الخوصاء

فكأنَّما فوقَ الأكفِّ بوارقٌ ... وكأنما فوقَ المتونِ إضاء

من كلِّ مسرُودِ الدخارص فوقه ... حُبُكٌ ومصقولٍ عليه هباء

وتعانقُوا حتى رُدَيْنِيَّاتهم ... عطشى وبيضُهمُ الرِّقاقُ رواء

أعززتَ دينَ اللهِ يا ابنَ نَبيِّهِ فاليومَ فيهِ تخبُّطٌ وإباءُ
فأقلُّ حظِّ العُرْبِ منك سعادةٌ وأقلُّ حظِّ الرومِ منكَ شقاءُ
فإذا بعثتَ الجيشَ فهو منيةٌ وإذا رأيتَ الرأى فهو قضاءُ
يكسو نداكَ الروضَ قبلَ أوانهِ وتحيد عنكَ اللَّزْبَةُ اللأواءُ
وصفات ذاتِكَ منك يأخذُها الورَى فى المكرُماتِ فكلها أسماءُ
قد جالَتْ الأوهامُ فيك فدقّت الـ أفكار عنك فجلّتِ الآلاءُ
فعَنَتْ لك الأبصارُ وانقادَتْ لك الـ أقدارُ واستحيَتْ لك الأنواءُ
وتجمّعَتْ فيك القلوبُ على الرِّضى وتشيّعَتْ فى حُبِّك الأهواءُ
أنت الذى فصلَ الخطابَ وإنما بك حُكِّمَتْ فى مَدحِك الشُّعَراءُ
وأخصُّ منزلةً من الشعراءِ فى أمثالِها المضروبةِ الحكماءُ
أخذوا الكلامَ كثيرهُ وقليلَه قسمين ذا داءٌ وذاك دواءُ
دانُوا بأن مديحَهم لك طاعةٌ فرض فليس لهم عليكَ جزاءُ
فاسلم إذا رابَ البريةَ حادثٌ واخلدْ إذا عَمَّ النفوسَ فَناءُ
فيه تَنَزَّلَ كلُّ وحيٍ مُنْزَلٍ فلأهلِ بيتِ الوحيِ فيه ثَناءُ
فتطول فيه أكفُّ آل محمدٍ وتُغَلُّ فيه عن الندى الطُّلقاءُ
مازلتَ تقضى فرضَه وأمامه وَوَراءه لَك نائِلٌ وجِباءُ
حسبى بمدْحكِ فيه ذُخْراً للورَى للنُّسْك عند الناسكين كِفَاءُ
هيهاتَ منا شُكر مَاتُولى ولو شكرْتكَ قبلَ الألسنِ الأعضاءُ
واللهُ فى عَلْيَاكَ أصدقُ قائل فكأنَّ كل قول القائلينَ هُذَاءُ
لا تسألَنَّ عن الزمانِ فإنّه فى راحَتَيْكَ يدورُ كيف تشاءُ

ومدائح ابن هانىء كلها على هذا النحو . وقد كرر كثيرا من المعانى فى قصائد مختلفة وردد ما أتى به هنا من الآراء والمبادىء فى غير هذه القصيدة .

وفاته : توفى ابن هانىء فى عام ٣٦٢ هـ وعمره ست وثلاثون سنة . وجد مقتولا وقد اختلف فى سبب قتله .

(انتهى)